الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر

«لقد عرفنا المحبة»

ريميني، ١١ – ١٣ إبريل ٢٠٢٥

«لقد عرفنا المحبة»

الرياضة الروحية
لأخوية الشراكة والتحرر

ريميني ٢٠٢٥

صورة الغلاف: إقامة إبن أرملة نائين من الموت، فسيفساء بكاتدرائية مونريالي في الممر الجانبي الجنوبي.

© حقوق النشر محفوظة لدار محفوظات «أولتريا» / صور ج. كياراموني، إهداء من أبرشية مونريالي

«يرسل قداسة البابا فرنسيس [Papa Francesco] تحياته القلبية بمناسبة الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر التي تحمل عنوان «لقد عرفنا المحبة»، آملاً أن تثير أيام الصلوات والتأمل هذه رغبتكم في دعوة المسيح القائم من بين الأموات بالتملك عليكم، بالوعي بأن لا أحد مُستَبعد من قلبه الرحيم. ويؤكد قداسته بتلك الأمنيات على ذكركم في صلاته ويرسل لكم عن طيب خاطر بركته الرسولية»

الكاردينال بيترو بارولين [Pietro Parolin]، أمين سر دولة الڤاتيكان

مساء الجمعة ١١ إبريل ٢٠٢٥

موسيقى يوهانز برامز
سيمفونية رقم ٤ بمقام ري مينور، مصنف ٩٨
بآداء أوركسترا فيلادلفيا بقيادة المايسترو ريكاردو موتي
سلسلة «الروح اللطيف» رقم ١٩، (فيليبس) يونيفيرسال

التحية الافتتاحية

لداڤيد بروسبيري

[Davide Prosperi]

أشار قداسة البابا فرنسيس إلى الروح القدس بأنه «صانع الشركة، [...] الذي يعرف كيف يزيل الحواجز والعوائق [...]. فهو يبني جماعة المؤمنين بخلق الانسجام والوفاق بين وحدة الجسد وتعددية أعضاءه. كما يجعل الكنيسة تنمو من خلال مساعدتها على تجاوز محدودية البشر وخطاياهم وعارهم».[١] لنبتهل إذن إلى الروح القدس، لكي يمنحنا نعمة القلب الوديع، حتى نكون قادرين على إفساح المجال لمبادرة الرب.

تعال أيها الروح القدس

مساء الخير ومرحباً بالجميع. إنه بحق مشهد مؤثر رؤية شعبنا يجتمع هنا للمشاركة في هذه الرياضة الروحية.

دعوني في البداية أقرأ لكم برقية قداسة البابا: «بمناسبة الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر التي تحمل عنوان «لقد عرفنا المحبة»، يرسل قداسة البابا فرنسيس تحياته القلبية، آملاً أن تثير أيام الصلوات والتأمل هذه رغبتكم في دعوة المسيح القائم من بين الأموات بالتملك عليكم، مع الوعي بأن لا أحد مُستَبعد من قلبه الرحيم. ويؤكد قداسته بتلك الأمنيات على ذكركم في صلاته ويرسل لكم عن طيب خاطر بركته الرسولية. الكاردينال بيترو بارولين [Pietro Parolin]، أمين سر دولة الڤاتيكان».

[١] البابا فرنسيس، اللقاء العام، ١٩ يونيو ٢٠١٩

يسعدنا جداً أن نجتمع معاً مرة أخرى بالحضور الشخصي هنا في ريميني لـ ١٩٠٠٠ مشارك و حوالي ٢٠٠٠ مشارك بالتواصل المرئي عبر الانترنت من صقلية وسردينيا ولاتسيو، إلى جانب ٣٥٠٠ مشارك بالتواصل المرئي عبر الانترنت من منازلهم لصعوبة التنقل بالنسبة لهم. ونضيف إلى كل ذلك مشاركين بالتواصل المرئي عبر الانترنت من ٢٠ دولة كما ستتولى جماعات الحركة المتواجدة في ٥٩ دولة أخرى إقامة هذه الرياضة الروحية في الأسابيع المقبلة.

لماذا نحن سعداء؟ لأن هناك شعب يسير ولأننا نسير على طريق أكد على صلاحه قداسة البابا الذي يرافقنا بأبوته. كما حثني الكاردينال أنجيلو سكولا [Angelo Scola]، الذي قابلته الأسبوع الماضي، على الاستمرار بإصرار في هذا الطريق. فقد نلنا هبة عظيمة وهذا في النهاية هو المعنى الحرفي لكلمة كاريزما. كما يقول القديس بولس: «بِمِقْدَارِ مَا تَرَسَّخَتْ فِيكُمْ شَهَادَةُ الْمَسِيحِ. حَتَّى إِنَّكُمْ لاَ تَحْتَاجُونَ بَعْدُ إِلَى أَيَّةِ مَوْهِبَةٍ» ويواصل قائلاً: «فَإِنَّ اللهَ أَمِينٌ، وَقَدْ دَعَاكُمْ إِلَى الشَّرِكَةِ مَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ رَبِّنَا».[٢]

أود تسليط الضوء على نقطتين لتقديم أعمال الرياضة الروحية هذه الأيام.

١) مسؤولية الكاريزما

إنها أمانته – أمانة الله – الذي يعطينا القدرة على القيام بمسؤوليتنا. فقد سألني الكثير منكم، بعد الرسالة الأخيرة لقداسة البابا، عن ما يلزم للقيام بمسؤولية الكاريزما اليوم، وقبل كل شيء، أمام الإغراء الدائم الذي أشار إليه الأب چوسَاني بالفعل في الرياضة الروحية الأولى للأخوية عام ١٩٨٢، عندما قرأ الرسالة التي كتبتها له إحدى الطالبات الجامعيات: «تَنكَفِئ الرؤوس على أخطائها وأخطاء الآخرين وعلى مشاكلها وعلى مشاريعها الخاصة. ويبدو أن بذل الجهد لرفع النظر من جديد إلى ذلك الحضور (حضور الرب) أمر غير مُستدام. لذلك لا يستطيع المسيح تحريك أي شيء فينا حقاً، فنحن لا نمجده. إذ نفكر في المسيح ونقوم بأعمالنا باسم المسيح، ولكننا لا نعترف به باعتباره الرب القائم من بين الأموات والمنتصر والحاضر».[٣]

إذن ما هي المسؤولية المطلوبة منا؟ اسمحوا لي باعطاؤكم تشبيه أدبي من رواية «سيد الخواتم» التي أحبها كثيراً. إذ تشبه اللحظة التاريخية التي نعيشها الآن الوضع الذي يجد فيه أبطال هذه الرواية أنفسهم بعد اختفاء جاندالف في مناجم موريا، وهو من كان مرشدهم حتى تلك اللحظة. عندما يبدو أن اليأس والضياع يسودان، يجد أعضاء المجموعة أنفسهم مضطرين لاتخاذ خطوة أساسية نحو النضج والمسؤولية المشتركة. وبما أنهم لم يعودوا قادرين على اتباعه جسدياً، وجب عليهم حسم أمرهم: هل يسيرون في الطريق الذي رسمه لهم جاندالف؟ وهل يضعون ثقتهم في وعده بأن تحقيق مصيرهم، ألا وهو إنجاز مهمتهم، أصبح الآن معلقاً على عاتق هذه الصحبة؟ إنه نداء مُلِحٌّ لاتخاذ قرار

---

[٢] راجع ١ كور١: ٦ – ٧، ٩

[٣] الأب لويجي چوساني، «رفقة غريبة»، دار بور للنشر، ميلانو ٢٠١٧، ص ٣٣

بالوثوق في روابط صداقتهم حتى النهاية من أجل مواصلة المهمة التي جمعتهم معاً.

فالاستمرار اليوم في إتباع من أحبنا أولاً يعني إذن إتباع الطريق الذي وضعنا فيه الروح القدس بمبادرته، من خلال الكاريزما التي وهبها الله للأب چوسَّاني. ففي هذا الطريق تتجدد نعمة حضوره باستمرار. ولدينا أدلة بلا انقطاع على ذلك: فأعتقد على سبيل المثال الفعالية العامة التي نظمها مؤخراً طلبة الجامعات بالحركة [CLU] في ميلانو، التي يطلقون عليها [MUD] (منطقة جامعة ميلانو) حيث خاطر هؤلاء الطلبة بحكمهم الشجاع على الوضع الحالي.

و شاركتُ مؤخراً في الاجتماع العام للمسؤولين بأمريكا اللاتينية، الذي عُقِد في البرازيل، ورأيت كيف يبني الإيمان الحياة ويغذيها بالأمل والرجاء ويبني روابط من المحبة حتى في الأوساط الأكثر عدائية. فعلى سبيل المثال تحدث أحد أصدقائنا من كوبا عن حالة الفقر المدقع التي تواجهها بلاده في هذه المرحلة، لذا فإن أعمالهم الخيرية تتمثل في الذهاب إلى الريف لجمع الطعام وتوزيعه على هؤلاء الأكثر احتياجاً. وشرح بأنه بسبب الظروف الموجودة الآن في كوبا، لديهم ساعتين أو ثلاث ساعات فقط من الكهرباء المتاحة خلال اليوم للقيام بجميع الأنشطة المنزلية الضرورية مثل الطهي، وغسيل الملابس، وشحن الهاتف أوالكمبيوتر. ولكن لا أحد يعرف بالضبط متى سَتُتاح الكهرباء، وبالتالي يمكن أن يحدث هذا وهم خارج منازلهم يقومون بأعمال الخيرية، ومع ذلك يخرجون على أي حال. لماذا يخرجون؟ أخبرنا صديقنا الكوبي أن الأعمال الخيرية بالنسبة له وللأصدقاء الآخرين، هي ضرورية لنمو الإيمان، وبالتالي لا يمكن الاستغناء عنها لأنها أكثر أهمية حتى من الطهي. ونحن هنا أيضا للتحقق من صلاح التاريخ الذي شاركنا فيه، والذي نرى منه براعم وثمار بلا انقطاع تفاجئنا وتعترف بها الكنيسة وتشير إليها للجميع.

وهنا أشكر الكاردينال فاريل [Cardinal Farrell] من أعماق قلبي على وجوده هنا معنا مرة أخرى هذا العام بالاحتفال بالقداس الالهي والذي أكد بطريقة مؤثرة من خلال المقال الذي كتبه وتم نشره بمجلة الحركة «آثار» [Traces] والذي أدعوكم لقراءته والذي يشير فيه بطريقة واضحة ودقيقة بـ «كاريزمة المُربي» التي وهبها الله للأب چوسَّاني والتي هي «مبادرة العناية الالهية للروح القدس التي استبقت فيه ما أصبح بعد ذلك مصدر إلهام للمجمع الڤاتيكاني الثاني». ويقول الكاردينال فاريل معلقاً: «إن العمل التربوي والتبشيري المذهل الذي قام به هذا الكاهن الغيور، والخادم الأمين للكنيسة، [...] يظل بمثابة ''خريطة طريق'' لكنيسة اليوم أيضاً». ثم يضيف قائلاً: «إن موهبته وعمله الرعوي الذي قام به بلا كلل ليسا مجرد عطية للكنيسة، بل هما أيضاً الاسهام التي قدمه الأب چوسَّاني للعالم، لأن العالم كله ينتظر الحقيقة والمصالحة والرجاء، وكل ذلك لا يأتي إلا من المسيح». [٤]

[٤] الكاردينال كيڤين چوزيف فاريل، «أخذ الانسان وأخذ المسيح على محمل الجد»، مجلة «آثار» عدد ٢ / ٢٠٢٥، ص ١٣.

فإن صحَّ هذا الأمر بالنسبة للأب چوسَّاني، صحَّ أيضاً بالضرورة على كل ما انبثق عنه – ولهذا تحديداً نحن هنا! –. أجلْ، إننا مدعوون لإعادة اكتشاف أنفسنا ونحن ممتلئين بالشكر والعرفان للنعمة التي تلقيناها والتي تعيدها إلينا الكنيسة اليوم. المسؤولية الأولى التي تقع على عاتق كل واحد منا تجاه الكاريزما (الموهبة الروحية) وهي الاهتمام والعناية بوحدتنا، أي بصداقتنا.

٢) الحركة هي صداقة غايتها تمجيد المسيح

إن الحركة، في المقام الأول، هي صداقة. إذ يصف الأب چوسَّاني الصداقة بأنها «صحبة موجهة نحو المصير».[٥] فمن خلال الانتماء إليها، يتحول قلبنا ويولد فينا استعداد أعمق لمحبة المسيح، كما يشهد على ذلك رسالة هذه الصديقة – المصابة بمرض خطير – التي طلبت السماح لها بالانضمام إلى الأخوية: «عزيزي داڤيد، أبلغ من العمر ٥٢ عاما، ولم يسبق لي الانضمام إلى الأخوية، ولكني أود أن أعيش الأشهر المتبقية من عمري داخلها. وأشكر الحركة على كل ما منحته لي وأستودعها أبنائي؛ فهُم من طلبوا مني الانضمام إلى الأخوية». وقد فعلت ذلك، كما كتبت، لأنها «على يقين من الوحدة والإيمان المشترك الذي عشناه في هذه السنوات».

ويتحول هذا الاستعداد إلى حماس تبشيري، كما تحدثنا في يوم بداية العام.[٦] فمن بين الشهادات الغزيرة التي جاءتنا خلال الأشهر الماضية، أود أن أشارككم الرسالة القصيرة التي أرسلتها لي سيلڤيا [Silvia] معلمتي في المرحلة الثانوية والمتقاعدة حالياً، وهي عضوة في جماعة حافظي ذكرى الرب [Memores Domini] (لقد كانت مفاجأة بالنسبة لي، إذ لم يكن بيننا أي اتصال منذ أعوام طويلة): «عزيزي داڤيد، أستعد للسفر إلى القدس، حيث سأخدم في البطريركية. لقد كانت قصة حياتي جميلة بشكل درامي، مما يجعلني قادرة على تقديم هذه المرحلة الأخيرة من حياتي بامتنان للرب. إنها سنوات عصيبة ومؤلمة، لكنه عام اليوبيل، وأرجو أن يتقبل الرب قربان حياتي من أجل مجده، مثل آنّا ڤيركور [Anna Vercors]، فليس لدي إلا هذه لأقدمها من أجل سلام ووحدة الحركة».

من المؤثر حقاً أن نرى في بقاع كثيرة من العالم كيف أن الانتماء العميق إلى هذه الصداقة التي تجمعنا يؤدي حتماً، كانطلاق ذاتي صادق وأصيل، إلى ولع وشغف لبناء الكنيسة. كما يوضح الأب چوسَّاني، في كتابه الذي يحمل عنوان «ثورة الذات» الذي يقول فيه أن هناك «شرطين موضوعيين» وضعهما المسيح لبناء الكنيسة. الشرط الموضوعي الأول هو «حيثما أكون، أنا المسيحي، يسعى كل ما في داخلي إلى تخطي الدينامية المعتادة

---

[٥] «الصداقة هي صحبة مُوجهة إلى المصير، وخلاف ذلك هي زيف مُهين، وغموض ولبس خطير. فالمبدأ هو إتباع صحبتنا الموجهة نحو المصير، التي تذكرنا بحضور المسيح وتستدعيه. لذلك يحسن بنا أن نتذكر الآن بأن هذه الصحبة ليست هي المسيح، بل المسيح حالٌّ فيها، وهو أصلها ومنشؤها وقوامها ومصيرها» (الأب لويجي چوساني، بشر بلا وطن. ١٩٨٢ – ١٩٨٣، بور، ميلانو ٢٠٠٨، ص ١٤٢).

[٦] راجع داڤيد بروسبيري، مدعوون أي مرسلون: بداية الرسالة، ملحق مجلة «آثار» عدد ١٠ / ٢٠٢٤، الصفحات ٨ وما يليها.

للعلاقات»، بحيث «أسعى، بما أنا عليه وبما لدي من قوة أو ضعف، إلى بناء هذا المكان الجديد» [٧] الذي هو الشركة المسيحية.

يساعد العامل الموضوعي الثاني على ألا يصبح العامل الأول مجرد تعبير عن الذات، بل يعني الانتماء إلى «وحدة ظاهرة وأكبر إتساعاً»، وهي «جماعة الكنيسة الجامعة». وهذا يظهر في «الاتحاد [...] بالأساقفة الذين هم في وحدة مع أسقف روما، خليفة القديس بطرس». ويشرح الأب چوسَّاني: «أن الاهتداء المسيحي يتم من خلال العلاقة الجدلية بين هذين العاملين»، لكنه يؤكد على أن: «الجانب الثاني من الاهتداء هو الأعمق والأكثر جِذرية، [...] لأن الإنسان يجب أن يعترف بأن: ''مقياسي ليس هو مقياسي أنا''». [٨]

بمعنى أن مسيرة إيماننا وبنائنا هو جزء من خبرة شركة أكبر مِنَّا، وهي "نحن" الكنيسة، التي تتجاوز رؤيتنا الشخصية ومقاييسنا الذاتية.

أتناول في هذا السياق فقرة أخيرة للأب چوسَّاني، مأخوذة من الرياضة الروحية للطلاب الجامعيين التابعين للحركة لعام ١٩٨٥، والمنشورة بمكتبة الڤاتيكان للنشر Libreria Editrice Vaticana بمناسبة عام اليوبيل في كتاب جديد يحمل عنوان «اللقاء الذي يبعث الرجاء» (يمكنكم معاينته في أكشاك الكتب هنا في أرض المعرض، وسيصدر في المكتبات في ٢٤ أبريل القادم): «التمسك والالتصاق بالرفقة نحو المصير: هذه هي الأخلاق المسيحية. لأن الرفقة إلى المصير تسمى، بمصطلح أصلي، "الكنيسة" أو بالأحرى، ''الشركة''. فالمشاركة في هذه الحقيقة تَنْتُجْ عن طريق الارتشاح الغشائي، أي عن طريق الضغط الأسموزي، مواقف معينة: وهذه هي الطريقة السليمة لتغيير وجه الذات، لخلق التحول الجذري [metànoia] – كما يقول الإنجيل – أي عقلية جديدة». [٩]

إن الاهتداء الأول الذي يدعونا إليه الله هو الأمانة، الأمانة التي تَحَدَّثَ عنها الشاعر الانجليزي ت. س. إليوت [T. S. Eliot] في جوقات «الصخرة»، حيث قال: «يبدو أن الناس عليهم أن يسيروا من نور إلى نور، في نور الكلمة، / عبر الألم والتضحية نالوا الخلاص، رغم ضعفهم وسلبيتهم؛ / ظلوا كما كانوا، وحشيين وشهوانيين وأنانيين، مهتمين وعنيدين كما كانوا دائماً في الماضي، / ومع ذلك هم دائماً في صراع، ودائماً في تأكيد جديد، ودائماً يستأنفون مسيرتهم على الطريق المُضِيء بالنور؛ / وغالباً ما يتوقفون ويضيعون الوقت، وينحرفون ويتأخرون ويعودون، ومع ذلك لا يسلكون أبداً طريقاً آخر». [١٠] نحن مدعوون لنكون أمناء وأوفياء لمحبة الله الحاضرة داخل كنيسته، التي وصلت إلينا واحتضنتنا من خلال أيدي ووجوه هذه الرفقة والصحبة، المتعثرة وغير الكاملة، ومع ذلك هي علامة أكيدة على محبته، أي ذاته، لأن الله محبة: [Deus caritas est]. [١١] لأنه هو من اختارنا، ولن يتركنا. [١٢]

---

[٧] الأب لويجي چوساني، ثورة الذات. الحياة كشركة (١٩٦٨ – ١٩٧٠)، ريتسولي، ميلانو، ٢٠٢٤، الصفحات ١٤٤ – ١٤٥.
[٨] نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحات ١٤٥ – ١٤٧.
[٩] الأب لويجي چوساني، اللقاء الذي يبعث الرجاء، مكتبة الڤاتيكان للنشر، مدينة الڤاتيكان ٢٠٢٥، ص ٨٨.
[١٠] ت. إس. إليوت، جوقات من «الصخر»، بور، ميلانو ٢٠١٠، ص ٩٩.
[١١] ١ يو ٤: ١٦.
[١٢] «وهذا هو الشيء الأكثر إثارة للدهشة، أن المسيح يحب هذه الجماعة المؤلفة من بائسين مثلي ومثلك»، الأب چوساني، بشر بلا وطن، ص١٤٢

لنستمع الآن إلى الأب چوسَّاني في هذا الفيديو القصير من مقدمة الرياضة الروحية للأخوية في عام ١٩٩١.

[عرض الفيديو]

«لقد وجدت صلاة تُلَخِص كل ما سنتأمله في هذا اليوم. إننا نجتمع مرة واحدة في السنة، لذلك علينا دائماً أن نكرر الأمور الأساسية، فلا يمكننا أن نندهش إذا كررنا دائماً تلك الأشياء نفسها التي، وحدها، تهب الحكمة للحياة وتزيل الحماقة منها. كما تقول هذه الصلاة المأخوذة من طقس القديس أمبروزيوس [Sant'Ambrogio] : «احفظ عائلتك وجماعتك وشعبك، «يا الله، بأمانة محبتك»، من أجل نفس القصة التي خلقته بها، «وساند دائماً هشاشة وجودنا بنعمتك، الأساس الوحيد لرجائنا». النعمة هي شيء واحد: إنه السر الذي صار ابن مريم العذراء، جسداً وعظاماً، أي المسيح، الأساس الوحيد لرجائنا. فبدون المسيح نغرق في فوضى حالكة الظلام ''ندفع ثمنها'' فقط بالانزلاق السهل إلى عنف بلا حدود».[١٣]

فإذا كنا هنا اليوم مرة أخرى، فذلك لنعود معاً، مرة أخرى، إلى «تلك الأشياء نفسها التي، وحدها، تهب الحكمة للحياة».

أترك الآن الكلمة لصاحب النيافة مونسنيور چوڤاني پاكوزي [Giovanni Paccosi]، الذي أشكره كثيراً على قبوله مرافقتنا هذا العام أيضاً في مسيرة تعمق الفضائل اللاهوتية الثلاثة. فبعد تناولنا لفضيلتي الإيمان والرجاء في العامين الماضيين، نتناول هذا العام فضيلة المحبة.

[١٣] الأب لويچي چوساني، حدث في حياة الانسان، بور، ميلانو ٢٠٢٠، الصفحات ١٣ – ١٤.

المقدمـــــــة

چوڤاني پاكوزي

«لقد ظهرت محبة الله في وسطنا»[١٤]

أقولها لكم بكل صدق، إن وجودي هنا من جديد هو مفاجأة غير متوقعة. فقد بدأت العام الماضي بالقول بإنني مجرد ''واحد من عامة الناس''... والآن أعتبر نفسي ''شخص عادي مُعتمد''! لكني في الواقع سعيد بوجودي بينكم، لأتناول معكم «الفضيلة اللاهوتية الثالثة التي [كما قال الأب چوسَّاني] يقوم عليها هيكل الله»:[١٥] ألا وهي المحبة.

إنّ المسيرة التي نسعى للقيام بها ستكون مستحيلة لولا تلك التي قمنا بها في العامين الماضيين، بالرياضات الروحيّة التي وعظنا فيها الأب ليبوري [P. Lepori] عن الإيمان وفي العام الماضي عن الرجاء. فمن الإيمان إلى الرجاء ثم إلى المحبَّة. إنَّها المسيرة التي يُلخِّصها مقطع من كتاب «في أصل الادعاء المسيحي» الذي نعرفه جيداً: «إنّ التعرّف على المسيح واتِّباعه (بالإيمان) يُولِّد بالتالي موقفاً وجودياً مميَّزًا يجعل الإنسان سائراً منتصب القامة ولا يكلّ في سيره نحو هدف لم يتحقَّق بعد، واثقاً من المستقبل لأنَّه مُتَّكِل تماماً على حضوره (الرجاء)؛ وبتسليم ذاته في عناية يسوع المسيح واتباعه تزدهر مودة جديدة تجاه كلّ شيء (المحبّة)، تُولِّد خبرة سلام وسكينة، التي هي الخبرة الأساسية للإنسان السائر».[١٦]

أقولها بصدق - وأكرر - رغم القلق الشديد الذي انتابني منذ أن طلب مني داڤيد القيام بذلك، إلا أنني الآن أشعر بامتنان عميق لإتاحته الفرصة لي للوقوف أمام الطريقة الأصيلة التي تحدث بها الأب چوسَّاني عن المحبة. لذا، أشعر بعدم وجود تماثل وتوافق بين لطف الله المجاني تجاهي وبين ضآلتي. إنني أكاد لا أرغب في قول شيء من عندي، بل أود أن أدع الأب چوسَّاني يتحدث فحسب، مدركاً مدى بعدي عن المحبة كشكل للحياة. لذلك أتمنى أن أعيش المحبة، فبدون الحب ليس هناك حياة؛ وأرغب وأود أن أستمر في تعلمها معكم.

---

[١٤] راجع الرسالة العامة للبابا بندكتوس السادس عشر بعنوان «الله محبة» رقم ١٧.
[١٥] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، بور، ميلانو ٢٠٠٩، ص ٣٢١.
[١٦] الأب لويجي چوساني، «في أصل الادعاء المسيحي»، بور، ميلانو ٢٠١٣، ص ١٢٥.

إن العقبة التي وجدتُّها في داخلي وفي الآخرين تتلخص في الآتي: عندما نتحدث عن المحبة، التي تقتضي تحركاً وعملاً، نظن أننا ندرك تماماً ما هي. لكن الحقيقة غير ذلك، وأرجو أن أتمكن من إيصال شيء من هذه الهبة التي تفوق تصوراتنا بكثير. كما أنني أشعر بالامتنان العميق لأنه خلال الأشهر الماضية، وخاصة في الأيام القليلة الأخيرة، لمست انتظار ودعاء الكثيرين منكم، الذين عبروا لي عن ذلك كتابةً، كحضن دافئ يمثل أروع تجليات وحدتنا، نحن الذين استلهمنا من الموهبة الروحانية، والذين، رغم قصورنا أو غفلتنا، نحب المسيح ونشتاق إلى معرفته. وحتى هذه الوحدة الملموسة هي تجسيد لمحبة المسيح فيما بيننا.

خلال هذه الشهور، تفتح لنا الكنيسة باباً عظيماً، «باباً مقدساً»، لننال محبة الرب في عام اليوبيل الذي بدأناه، والذي يطلب منا أن نكون ''حُجَّاج الرجاء''. نسير (مثل ذلك الانسان السائر الذي استمعنا إلي حكايته في الأغنية [١٧]) نحو قلب المسيح، ذلك القلب المتَّقِد بالحب اللامتناهي، الذي كتب عنه قداسة البابا في رسالته العامة الموجهة للكنيسة جمعاء ''لقد أحبنا'' [Dilexit nos]. [١٨] بهذا، أشير بالفعل إلى نص يجب العودة إليه كوثيقة وكتعمق في الأمور التي سنتحدث عنها.

لندخل إذن في صُلْب الموضوع وهو كتيب «معنى عمل المحبة»، هذا النص الصغير الثمين جداً، لتقديم موضوع المحبة، ينطلق الأب چوسَّاني من البنية الطبيعية لأي انسان، كما رأينا العام الماضي، فيما يخص الرجاء، في تلك المقالة الرائعة المنشورة في عام ١٩٦١ والتي اتخذناها مرجعاً لنا. [١٩]

في البداية، حيث يشير الأب چوسَّاني إلى الهدف من الانخراط في عمل المحبة، نجده يكتب: «قبل أي شيء، تعطينا طبيعتنا الانسانية الحاجة إلى الاهتمام بالآخرين» ثم يضيف: «ونحن نسميها بحق قانون الوجود». إنه قانون الوجود، كما أن الأكل والشرب والنوم قانون، أي أنه تعبير عن بنية الإنسان ذاتها الاهتمام بالآخرين. لهذا السبب، يضيف: «نحن نقوم بـ «عمل المحبة» لتلبية هذه الحاجة. [...] فالاهتمام بالآخرين، والتواصل معهم، يجعلنا نؤدي الواجب الأسمى، بل الوحيد، في الحياة، وهو تحقيق ذواتنا واكتمالها. إذ نقوم بعمل المحبة لنتعلم كيف نؤدي هذا الواجب». [٢٠]

---

[١٧] الشمس الشابة المشرقة، يبدو أن الصباح قد أتى، / وكل شيء جاء بهذه السهولة وكأن السماء تتمنى لي الخير. / وأتت عيون الفجر تلك بشروق شمسي أنا، / لقد مر وقت طويل منذ أن كان نبض قلبي صديقاً، / لقد مر وقت طويل منذ أن شعرت أنني أتنفس من جديد. / / فيكِ وجدتُ موطني الثاني، / تركت كل ما أعرفه من أجل حب أعرفه. / / هواء منعش وطرق مفتوحة وليالي هادئة وأيام جامحة، / نتساءل باندهاش ونتأمل أي تجوال سنقوم به. / أعتقد أنني لا أهتم بماذا؟ متى؟ أو أين؟ / لأنني بدأت أدرك أن السؤال الذي يستحق الطرح هو، من؟ / بدأت أدرك أن السؤال الذي يستحق الإجابة هو أنتِ. / / فيكِ وجدتُ موطني الثاني، / تركت كل ما أعرفه من أجل حب أعرفه / وتلك القبضة التي انتزعتني منها كنت أحاول التخلص منها بالفعل. / كانت تمسك بي، لتعيقني عنك! / / أعتقد أنها طريفة، هذه المفارقة المزدوجة؛ / أعتقد أنها طريفة، هذه المفارقة المزدوجة، / فأعظم انتصاراتي كانت هزيمتي، / أعظم انتصار هو في هزيمتي.

(روو بينز [Roo Panes]، بيت من بيت، من ألبوم العملاق الصغير، ٢٠١٤، © سي. آر. سي. للموسيقى.

[١٨] البابا فرنسيس، الرسالة العامة ''لقد أحبنا'' [Dilexit nos]، ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٤.

[١٩] الأب لويجي چوسّاني «من الرجاء إلى ملء الفرح» (١٩٦١)، الآن بمحتوى مماثل في الكتاب «إحمل الرجاء».

[٢٠] الأب لويجي چوسّاني، «معنى عمل المحبة. الهدف والتبعات والتوجيهات»، دار العالم الجديد للنشر، ميلانو ٢٠١٨، الصفحات ٥-٦.

إن ما يربط بين اهتمامنا بالآخرين، وتواصلنا معهم، وبين الواجب الكبير: هو تحقيق ذواتنا. وأعتقد أننا اليوم بحاجة للقيام بشيء مختلف عما فعلناه العام الماضي. ولكن على هذا الواجب أن يدخل بقوة اللقاء مع المسيح. ويدهشني أن الأب چوسَّاني في الفقرة الأولى يتحدث عن «الاهتمام» بالآخرين و «التواصل» معهم، لكنه لا يصل إلى ذكر «بذل أنفسنا» للآخرين: فهذا ما يفعله في الفقرة الثالثة، عندما يتكلم عن المسيح الذي يكشف سبب اهتمامنا الطبيعي بالآخرين: «لكن المسيح جعلنا نفهم السبب العميق وراء كل هذا عندما كشف لنا القانون النهائي للوجود والحياة: ألا وهو المحبة. فالقانون الأسمى لوجودنا هو مشاركة وجود الآخرين. فيسوع المسيح فقط هو الذي يخبرنا بكل هذا، لأنه يعرف ماهية كل شيء، ماهية الله الذي يخلقنا وماهية الوجود». لكن هذا التعمق في طبيعة الوجود يتحول مباشرة إلى نظرة تجيش بالعاطفة للمسيح: «أستطيع أن أشرح لنفسي معنى كلمة ''محبة'' بكاملها عندما أفكر في ابن الله الذي بحبه لنا، لم يرسل لنا ثرواته كما كان يمكنه أن يفعل، مغيراً وضعنا تماماً، بل أصبح فقيراً وبائساً مثلنا و''شاركنا'' عدميتنا». إننا نقوم بـ ''عمل المحبة'' حتى نتعلم أن نعيش مثل المسيح». [٢١]

إننا نكتشف المحبة التي تشبع رغبة قلبنا في أن نحبّ وأن نكون محبوبين عندما نلتقي بالمسيح وندركه، لأنه يتواصل بذاته معنا؛ ويمكننا معاً من خلال هذه الصداقة التي هي جزء من محبته لنا أن «نتعلّم أن نعيش مثل المسيح»، وأن نحقق أنفسنا. أنا لا أُحقِّق ذاتي بنفسي، ولا أستطيع أن أُحقِّق ذاتي بنفسي. وهذا لا يكفي، لأنه ليس سوى وهم جميل، "الشعور بالرضا عن نفسي"، كما تعلنه نظرة الإنسان السائدة اليوم، والتي تختزل كل شيء في علم النفس. إن حقيقة أنفسنا، الحقيقة بالألف واللام، لا نملكها ولا نصل إليها بمفردنا. بل أن هذه الحقيقة تمتلكنا. فالحب والجمال والسعادة والحقيقة تتجلى في اللقاء مع الذي جاء للقائنا: «لقد عرفنا المحبة». [٢٢] ففي اللقاء يبدأ «اجتياح» المسيح التدريجي داخلنا، الذي يشبع احتياجات قلوبنا؛ وهناك يبدأ تغيير العقلية التي ستقودنا إلى التوحد مع يسوع، وبالتالي إلى تحقيق ذواتنا.

غداً سنتعمق في «إجتياح» المسيح هذا لإنسانيتنا.

مدعوون ومحبوبون

أود الآن العودة إلى المسيرة التي قمنا بها في الأشهر الأخيرة، والتي اكتشفنا فيها بطريقة جديدة اللقاء الذي اسرنا، سواء حديثاً أو قديماً، والذي يستحوذ علينا ويبهرنا الآن. فقد أدركنا في يوم بداية العام وفي مدرسة الجماعة التي نتأمل فيها كتاب «الحس الديني»، بأننا موضع دعوة تحدد مهمتنا أيضاً: وهي أن نشهد بأن معنى الحياة يكمن في إعترافنا ورغبتنا في الانتماء إلى ''آخر''، بـ''الأنت'' يا من تخلقنا («أنا هو ''أنت يا من

[٢١] نفس الكتيب المذكور عاليه، ٧.
[٢٢] ١ يو ٣: ١٦.

تخلقني'' » [٢٣]). إننا مدعوون للمشاركة في دعوة المسيح لاظهار محبة الآب. وكما يقول الأب چوسَّاني: ''إن الدعوة الكبرى [...] التي وضعها الله لتدبيره في العالم، هي دعوة المسيح'' [...]. إظهار تدبير ومحبة الآب، [...] تلك المحبة التي تفيض من الآب بلا انقطاع.» [٢٤]

في يوم بداية العام، ربط داڤيد بروسبيري كل مرحلة (من المسيرة) بشخصية، كانت شبه رمز لها: مثل المرأة السامرية ويعقوب والقديسة برناديت وفرانز وزوجته فرانزيسكا. أولاً، عندما نفكر في المرأة السامرية، يتأثر قلبنا عندما نكتشف أننا مثلها – كنا وما زلنا – مدعوين بالحب، في متاهات حياتنا المعقدة: «عندما تكتشف فجأة أن المسيح يريدها ويحبها – ولكن لنستخدم الكلمة العزيزة على الأب چوسَّاني: يستجديها الذي هو المصير، وهو الذي خَلقَ قلبنا لأجله وينتظرنا دائماً، سواء بوعي أو بغيروعي منا». [٢٥]

في إحدى لقاءاته العامة الأخيرة، تحدث البابا فرنسيس عن لقاء يسوع بالمرأة السامرية: «إنها لم تتوقع أن تجد رجلاً عند البئروقت الظهيرة، بل كانت تتمنى أن لا تجد أحد هناك. إذ أنها ذهبت في وقت لا يذهب فيه أحد، في عزّ الحر. ربما لأنها كانت تشعر بالخجل والعار من حياتها، وربما شعرت بالرفض والادانة. فاختارت العزلة، وقطعت علاقاتها بالآخرين. وكان يمكن ليسوع أن يتجنَّب طريق السامرة في رحلته من اليهودية إلى الجليل، لكنه لم يفعل، بل قصد الذهاب إلى هناك، وتوقف عند ذاك البئر، وفي تلك الساعة!». [٢٦]

وهكذا حدث معنا أيضاً: فقد أراد لقائنا. فقد دعانا وجذبنا، وسحرنا بحضوره وغلبنا بمحبته، كما غلَب يعقوب عندما ترك سرّ الله يتغلب عليه (بيت بعيد عن بيتي. كما تقول أغنية [Roo Panes] الجميلة: «إن انتصاري الأعظم كان في هزيمتي»). [٢٧] «وكأن الله يقول: "لقد انتصرت، ولكن انتصارك لا يعني أنك ''امتلكتني''، بل لأنك أصبحت لي ولأنك صرت واعياً بانتمائك لي؛ أو بالاحرى باتكالك عليَّ بالكامل". » [٢٨] وأظهرت لنا القديسة برناديت أن الدعوة الإلهية التي نالتها هي رسالتها في الحياة: أي أن نعطي شهادة له، وأن لا شيء في هذا العالم يمكن أن يمنعنا من أن نكون أبطال معه في رسالته المقدسة: «لست مُكلَّفة بجعلكم تؤمنون بذلك، بل أنا مُكلَّفة بإخباركم بذلك»! [٢٩]

إذ نحن مدعوون للشهادة وللرسالة وللمهمة العظيمة التي هي بناء الكنيسة. وقد يتطلب ذلك أيضاً الاستشهاد (فالاستشهاد والشهادة هما نفس الشيء). فقبل بضعة أسابيع، قرأت أن أكثرمن ٣٨٠ مليون مسيحي (واحد من كل سبعة على مستوى العالم)

---

[٢٣] الأب لويچي چوسّاني، «الحس الديني»، بور، ميلانو ٢٠٢٣، ص ١٤٦.
[٢٤] داڤيد بروسبيري، «مدعوون أي مرسلون: بداية الرسالة»، نص سبق ذكره آنفاً، ص ٥.
[٢٥] نفس المصدر المذكور عاليه
[٢٦] البابا فرنسيس في لقائه العام مع جمهور المؤمنين بساحة كنيسة القديس بطرس في ٢٦ مارس ٢٠٢٥.
[٢٧] روو بينس، بيت بعيد من بيتي، من ألبوم «العملاق الصغير»، ٢٠١٤، حقوق النشر
[٢٨] داڤيد بروسبيري، مدعوون أي مرسلون: بداية الرسالة، نص سبق ذكره، ص ٧.
[٢٩] كلمات القديسة برناديت المقتبسة من كتاب «برناديت سوبيرو» لكاتبه فرانسوا تروشو، والتي ذكرها داڤيد بروسبيري في «مدعوون أي مرسلون: بداية الرسالة»، نص سبق ذكره، ص ٨.

يعانون من الاضطهاد.[٣٠] وتتحدث صحيفة [Il Foglio] اليوم عن الاضطهاد المؤلم للكنيسة الذي يحدث في نيكاراجوا.[٣١]

وذكَّرنا داڤيد برسالة هامة من القصة الحقيقية لحياة فرانز وفرانزيسكا ياجرشتاتر [Franz & Franziska Jägerstätter] : وهي أن الشهادة التي نحن مدعوون لإعطائها لا يمكننا تقديمها بدون الشركة التي يسكن فيها المسيح وبدون وحدتنا في ظروف الواقع الملموس سواء الحلوة أو المُرة التي نتواجد فيها. إذ لا يمكننا أن نكون شهوداً بمفردنا بل من خلال الوحدة، كمشاركة زوجة فرانز التي ساندته حتى الاستشهاد.

باختصار، لا يمكننا فهم المحبة الحقيقية فقط من خلال احتياج قلوبنا إلى الحب، رغم أننا نتوق إلى أن نُحِب ونُحَب، فقد خلقنا الله بهذا الاشتياق، لكن تبدأ المحبة في أن تتكشف لنا في اللقاء مع المسيح وفي تلك الدعوة التي يُعرِّفنا ذاته من خلالها، ويملأ كياننا بحضوره، ويُشرِك في رسالته الخلاصية كل من يفتح له قلبه ويقبله ويمتليء بحضوره إلى أن يردد كلمات القديس بولس: «وَفِيمَا بَعْدُ لاَ أَحْيَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. أَمَّا الْحَيَاةُ الَّتِي أَحْيَاهَا الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهَا بِالإِيمَانِ فِي ابنِ اللهِ الَّذِي أَحَبَّنِي وَبَذَلَ نَفْسَهُ عَنِّي.».[٣٢]

أعتقد أننا جميعاً شعرنا بمحبة البابا فرنسيس العميقة بعد رسالته في ٢ فبراير. وعندما دخل المستشفى بعدها بأيام، تأثرت جداً وأنا أفكر بأنه حتى في ضعفه أراد أن يبقى معنا في مسيرتنا ليطمئننا. وأن يفكر بنا وسط كل المشغوليات التي كانت لديه، فهذا دليل على محبته الكبيرة لنا ولمسيرتنا، كما يظهر من البرقية التي وصلتنا تواً. وقد أثار صدى كلماته عن الصعوبات بيننا الكثير من الأسئلة التي دفعت داڤيد (رئيس الحركة) إلى كتابة رسالته في ٢٨ فبراير الماضي، مما جعلنا نراجع ما حدث في السنوات الأخيرة ونفهم أننا جميعاً بحاجة إلى الاهتداء وإلى التغيير. والسؤال ليس: من الذي أخطأ؟ أو متى أخطأ؟ بل: أنا وأنت، كيف نعيش وكيف نتعامل مع ما يحدث وما هو موقفنا مما يحدث؟».

لقد لمستُ بنفسي كيف أن الطاعة والاتباع الصادق لسلطة الكنيسة تُنَّمي وتُثري حياتنا بشكل يفوق توقعاتنا. فمحيطي الخاص الأقرب لي (''قريب'' بشكل مُفَارِق) والذي أعتبره كبيتي الثاني هو الحركة في أمريكا اللاتينية حيث تزيد دهشتي ويزداد امتناني عند رؤية هذه القوة الجديدة، حيث ينطلق الكثيرون بجدية للقيام بالرسالة، ويقدمون خدمات جليلة للكنيسة تثمر عن أمور مذهلة. اسمحوا لي أن أذكر صديقنا العزيز أليخاندرو ماريوس [Alejandro Marius] ، الذي كلفته الكنيسة الفنزويلية، كما قرأتم على الصفحة المخصصة بموقع الحركة،[٣٣] بالإشراف على كل ما يتعلق بإجراءات إعلان قداسة خوسيه غريغوريوس هيرناندیز [José Gregorio Hernández]، الطبيب القديس الذي

---

[٣٠] راجع إف. پيانا، «الأبواب المفتوحة، يتزايد عدد المسيحيين المُضطهدين في العالم»، أخبار الڤاتيكان، ١٥ يناير ٢٠٢٥.

[٣١] إم. متسوتسي، «الشرطة ستراقب العظات. الاضطهاد بلا نهاية في نيكاراجوا»، صحيفة [Il Foglio]، عدد ١١ إبريل ٢٠٢٥، ص ١.

[٣٢] غلا ٢: ٢٠ – ٢١.

[٣٣] أليخاندرو ماريوس، «القداسة هي لي أيضاً»، ٢٥ مارس ٢٠٢٥، موقع الحركة clonline.org

يعشقه كل مواطن فنزويلي. إنكم لا تتخيلون مدى أهمية هيرناندیز لكل فنزويلي: إنه يعتبر صديق الجميع! واختيار أحدنا ليكون المرجع والمنسق لهذا الحدث الكبير (فقد صدَّق قداسة البابا بالفعل على المضي في إجراءات إعلانه قديساً للكنيسة الجامعة). إنه أمر لا يُصدَّق!. كما أذكر النمو الكبير للحركة في جواتيمالا، حيث شهد شهر أكتوبر إقامة أول «يوم بداية العام» و «مدرسة الجماعة». وأيضاً، أتأمل في «لقاء هاڤانا» وهواللقاء الأول بالحضور العلني في هاڤانا عاصمة كوبا، والذي أقامه في ظروف معقدة الأصدقاء الذين تحدث عنهم داڤيد، بحضور الأسقف والقاصد الرسولي (ويمكنكم قراءة المقال المميز على موقع الحركة[٣٤]). وأتوقف عند هذا الحد، لكنه حقاً انفجار للحياة، نابع من بساطة الاتباع: ربما لأن من يشعر بحاجته الماسة للمسيح، وإلى الكاريزما، ليعيش، يتجه أكثر إلى ما هو جوهري.

نحن لسنا أوفياء

لكن ليس لدينا على الدوام هذه البساطة وغالباً، بل، يبدو أننا نقاوم الاتباع، لأننا نريد إملاء شروطها. نحن في فترة الصوم الكبير: دعونا نواجه مقاومتنا هذه.

يُزيد الصوم الكبير الذي في ذروته، وأسبوع الآلام الذي يقترب، من حدة وعينا بعدم وفائنا وبشرورنا وبإحتياجنا إلى التغيير. وبالتحديد بسبب ضعفاتنا، وخطايانا، وشرورنا، يقدم المسيح ذاته من أجلنا، في الآلام والموت على الصليب، والذي سوف نغمر أنفسنا في سرها من خلال الصلوات الطقسية (الليتورجيا) في الأيام القليلة القادمة. ولكن الصور الرائعة لآلام يسوع التي شاهدناها معروضة على الشاشات عندما دخلنا القاعة اليوم أدخلتنا إلى هذا السر: ففيها، إذا ركزنا على النظرات المتبادلة بين مريم ويسوع، تزداد مشاعرنا تأثراً بالآلام التي قبلها المسيح واحتملها وبمشاركة مريم هذه الآلام من أجل محبتنا. وفي لوحات دوتشيو [Duccio] الأخرى، يتجه نظر يسوع دائماً نحو الأرض، ولكن في مشهدين، بينما هو أمام بيلاطس وعندما توجوا رأسه بإكليل الشوك، ينظر نحونا نحن المتفرجين، وهو يكاد أن يقول لنا: «وأنت؟ ماذا تعني لك هذه الآلام؟ إلى أي جانب تقف أنت؟».

وعندما نأتي إلى الرياضة الروحية، يتضرع كل واحد منا من أجل الإهتداء، أي أن يغلب حضوره (حضور الرب) على وضاعتنا وخيانتنا. ونحن نفعل ذلك لأننا "عَرِفنا المحبة".

كيف تتجلى معارضة هذا الاعتراف؟ يبدو لي، في المقام الأول، أنه في كثير من الأحيان يولد الشك فينا بأننا لسنا محبوبين حقاً، وغير مغفورين، والشك فيما إذا كان الله يريد لنا الخير حقاً. فمثل آدم وحواء، يولد الشك في أنه ربما يكون قد خدعنا. وإذا سمحنا له

---

[٣٤] إ. كالافيا أريسپاكوتشاجا [A. Calavia Arespacochaga]، «كوبا. فرحة غريبة وصحبة غريبة»، ٧ إبريل ٢٠٢٥، على موقع الحركة.

بالنمو، فإن هذا الشك سوف يشُلُّنا، ويقودنا إلى السأم والفتور أي إلى الكسل الروحي الذي يجعلنا متعبين وغير فاعلين وغير قابلين للاصلاح، وغير قادرين على الاتباع البسيط والتلقائي، وفي أفضل الأحوال يؤدي بنا إلى نشاط بلا رجاء: يجب أن أتدبر أمري بنفسي لأنني في النهاية وحيد.

عندما قرأت كتاب الأب چوسَّاني الذي نُشر في الصيف الماضي "ثورة الذات" في فصل الرياضات الروحية بمركز بيجي في كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٠، وجدت صفحات تحمل عنوان «أصل الشر فينا» [٣٥] قد هزتني وتحدَّتني، وأود أن أتناولها مرة أخرى لأنني أعتقد أنها تساعدنا على الدخول بشكل حاسم في الصراع الذي يجب أن نعيشه في هذه الأيام.

إن الشك في أننا محبوبين يجعلنا حزانى. «وهذا الحزن الكامن فينا، أولاً على مستوى الإيمان، وفي علاقتنا بالخالق، وبشكل خاص في تحملنا للمسؤولية أمام المسيح، أي في واقع تاريخنا الحقيقي، وتاريخ المسيحية، وتاريخ الكنيسة، وتاريخ الجماعة [...]. ينبع هذا الحزن من نسيان مريع السهولة، ومن ملل يسير وغير مبرر، يبدو غير مفهوم (إحساس بالروتين، أو الانطباع بأننا نضرب في الفراغ، أو أن كلماتنا مجردة، وكأننا أمام طرح فارغ، أو على الأقل، طرح لا يوقظ فينا أي استجابة حقيقية، ولا ندرك كيف يلامس جوهر حياتنا: باختصار، نحن نشعر بنوع من الغربة)». [٣٦]

إن مصدر هذا الشعور بالغربة - كما يوضح الأب چوسَّاني مباشرة - هو الشر، الشر الكامن فينا. ولمساعدتنا على الفهم، يدعونا إلى إمعان النظر في «غرف منزلك الثلاثة أو الأربعة، وفي كيفية تعاملك مع شريك حياتك، ومع والديك، ومع أصدقائك في الجماعة، ومع رفاقك في الجماعة، ومع زملائك في الدراسة أو في العمل». ثم يلقي حكماً صادماً: «إن حياتنا اليومية في المنزل أو العمل أو المدرسة، وحياة تعايشنا المشترك، هي في أغلب الأحيان لا شيء. ما هذا الشيء الخالي من اللون والشكل، الخالي من الكلمات، الخالي من الحياة، باختصار، ما هذا الغياب للشخصية الجديدة!» [٣٧]

أصل الشر هو الكذب

الشك والحزن والنسيان والملل وغياب الشخصية الجديدة: هذا هو الشر الكامن فينا. والشر هو الكذب. ربما نُعرِّفْ الشر بالألم الذي غالباً ما نواجهه. ولكن «حينئذٍ سيكون هناك سوء فهم يجب إزالته، لأن الألم ليس شراً، ليس شراً حقيقياً. والدليل على ذلك أنه طريق إلى القيامة. لو كان شراً حقيقياً، لما حمله المسيح على عاتقه وفي جسده،

---

[٣٥] الأب لويچي چوساني، «ثورة الذات. الحياة كشركة (١٩٦٨ - ١٩٧٠)»، كتاب سبق ذكره، الصفحات ٢١١ - ٢٣٣.
[٣٦] نفس الكتاب المذكور عاليه، ص ٢١٦.
[٣٧] نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحات ٢١٧ - ٢١٨.

ولَمَا ماتَ». إذ يرجع أصل الشر والخطيئة إلى الكذب، إنه الكذب. « الشر واحد فقط: كما يقول لنا القديس يوحنا. فلنتذكر أنه يُعرّف الشر بكلمة ''الكذب''.»[٣٨]

يسود الكذب بسبب عدم إخلاصنا لله. فما هو أصل الشر إذن؟ هو عدم الإخلاص لله. ليس كقصد (وإلا لما كنا هنا اليوم، بتضحية، حتى اقتصادية)، بل كمسافة ملموسة في حياتنا اليومية التي نعيشها: «لننظر إلى الخمول وإلى الراحة وإلى إحراقنا البخور لصنم الراحة، الذي هو صنم الجميع، سواء كانوا برجوازيين أو اشتراكيين: إنه عدم الإخلاص لله!». ويتغلغل الشر فينا بسبب عدم إخلاصنا لله. كيف يمكننا التحقق من ذلك؟ بالنظر إلى أصل أحكامنا القيمية: «ولكن هذه هي النقطة الأكثر جذرية. من أين تُولد الأحكام القيمية على الحياة، على ما يستحق العناء، وعلى فائدة وجودك وعلى طريقة أفعالك؟ [ثم يسأل:] ما هو سبب عدم رضاك؟ [...] وما هو سبب قلقك، وشعورك بعدم الارتياح، والادعاء الخفي أو العنيف الذي فيك تجاه الحياة، وتجاه ما يحيط بك والوجه العابس الذي تظهره؟ [...] عدم الاخلاص لله هو المقياس والمعيار الذي يحكم تقييماتك».[٣٩]

ثم يكشف الأب چوسَّاني عن الوجه الحقيقي لهذا الجحود بقوله: «إن عدم الإخلاص لله يعني عدم إخلاص لعمله المتجسد في مسيرة تاريخنا ويعني في حياتنا عدم الوفاء لتاريخه داخلنا». وعدم الوفاء لهذا التاريخ المحسوس، ربما بإسم إخلاص مزعوم لفكرتنا الخاصة عنه: «إن معرفتنا لله لا تأتي إلا عبر حدث ملموس عشناه. [...] أما عدم الوفاء لله، أي لعمله وتاريخه، فهو منبع وأصل للشر وجوهره الكامن». لذا، يصرح بأن «أصل الشر يكمن في نسيان ذكرى اللقاء».[٤٠]

ويوضح لنا الأب چوسَّاني بأنه إذا نسينا هذا اللقاء سنعود حتماً إلى تطبيق معاييرنا الذاتية. «ما الذي يشكل قوام هذا الشر وهذا الجحود لله؟ إن الشر هو تطبيق مقياسنا الخاص»، أي «مقياس دنيوي». وأي مقياس دنيوي نطبقه في « مأكلنا ومشربنا ويقظتنا ونومنا وفي أحكامنا على الأحداث السياسية والاجتماعية وعلى ما يدور سراً في حجراتكم الخاصة». إنه المعيار الذي يظهر في قبولنا لأصدقاء وعدم قبولنا لآخرين، وفي طريقة الترحيب أو عدم الترحيب بهم، وفي طريقة نهوضنا ونومنا، في كل جانب من جوانب حياتنا».[٤١]

بعد إنجذابنا إلى اللقاء ونُوضع في قصة وتاريخ، نسمح لأنفسنا بأن تنتصر علينا الشرور والأكاذيب. وقد أثرت هذه الكلمات في قلبي بعمق. ثم يعطينا الأب چوسَّاني أمثلة على انعكاسات ذلك بتطبيق هذا المعيار الدنيوي على قايين والطوفان وبابل. فيقول:

---

[٣٨] نفس الكتاب المذكور عاليه، ص ٢١٨.
[٣٩] نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحات ٢١٩ – ٢٢٠.
[٤٠] نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحات ٢٢٠ – ٢٢١.
[٤١] نفس الكتاب المذكور عاليه، ص ٢٢٤.

«ماذا عن قايين؟ وعن الطوفان؟ وعن بابل؟ إذ تجسد هذه اللحظات الثلاثة الكبرى، بشكل سري، الانعطافات الجذرية التي يطبقها معيارنا كذريعة لتسيير الأمور. والعنف وإثبات الذات إلى حد العنف: قايين والغريزة والتصرفات الحيوانية. والطوفان: فالإنسان الغارق في المتعة. وبابل: نجد كبرياء القدرة البشرية، حيث يظن الجميع أنهم الله». [٤٢]

نحن نسمح لأنفسنا بأن يغلبنا الشر إلى درجة الخسة التي تجعلنا نشعر بالخجل، وهذا في رأيي هو الاقتباس الأكثر إثارة للإعجاب: «من منا لم يختبر المذلة والمهانة وهو يقول كذبة على مسامعه، وربما أمام الناس، ويبدأ في إدراك أن الآخرين يدركون أنه يكذب، ويستمر في الكذب؟ إنه شيء فظيع. مَن منّا لم يختبر هذا الإذلال أو مذلّة الإساءة إلى جسده أو جسد إنسان آخر، وإدراكه بوضوح واستمراره في ذلك؟ أو من من منا لم يختبر مذلة الشعور بكل القذارة والتفاهة والأنانية؟ أو من منا لم يختبر كل هذا التناقض، مع ما يعلنه ويقوله، مع كل ما يعلنه ويقوله من إرادة تأكيد الذات، وإرادة الفعل والسيطرة؟ ولكن من من منا لم يحظَ بلحظات من الشفافية في القيام بذلك ومع ذلك يخضع لتلك القوة التي تجذبه إلى ذلك؟». [٤٣]

وهكذا نصل إلى اختبار التناقض العظيم والمثير للسخرية والشفقة الذي نغرق فيه: فعندما نفصل أنفسنا عن الله، وعن هذا التاريخ، فإننا في الواقع لا نتبنى معيارنا، ومقياسنا، بل نجد أنفسنا للأسف نتبنى معيار العالم. إذ لا يوجد في الواقع سوى هذا البديل في طريقة تصرفنا: «إما أن نتصور ونعمل الأشياء بحسب مقياس الله، مقياس المثل الأعلى، أو بحسب طريقة التفكير التي يفرضها الآخرون؛ إما مقياس الله أو مقياس العالم، باختصار، ليس هناك طريق وسط. فأنت لست إلهاً جديداً تستطيع أن تخلق طريقاً ثالثاً وسطاً بين الأمرين: فإما أن تتبع الله أو أن تكون، كما يقول الكتاب المقدس، ''عبداً للعالم''. ومعيار العالم هو معيار سيد العالم: الشيطان. «لأن العالم، كما عرَّفناه من قبل، هو بالضبط المكان الهندسي لهذا المعيار المضاد لله. فقد غزانا العالم: الخطيئة الأصلية. الأصلية: أي من الجِذر». [٤٤]

ويتابع الأب چوسَّاني بقوله: «إن العقاب الأول (على شرِّنا) هو أن يصبح مضمون حياتنا عبثاً، والتزامنا في الجماعة يصبح كالريح. ولكن ليست الجماعة هي التي تَضعُف، وليست قصة الله. إنه شَرُّكَ: عدم الإخلاص والوفاء للتاريخ. وعقاب أخر [...] وهو المظهرية والشكلية: ''يُكْرِمُونَنِي بِالْكَلَامِ، وَقَلْبُهُمْ بَعِيدٌ عَنِّي''. يا له من عقاب رهيب! وبسبب هذا، يجد العدو في هذا الخواء أو القحط أو بُعد القلب، مجالاً للتسلل داخلك. وهكذا، ببقائك في الجماعة، وفي التزامك المسيحي - إما خاوياً أو مظهرياً - تجد نفسك مع مرور السنين على هامشها، كما لو كنت خارجها، وكل ما يتطلبه الأمر هو هبوب ريح

---

[٤٢] نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحات ٢٢٥ - ٢٢٦.
[٤٣] نفس الكتاب المذكور عاليه، ص ٢٢٨.
[٤٤] نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحات ٢٢٨ - ٢٢٩.

بسيطة لتفصل البقية الباقية من ارتباطك بها. وستُلقِي باللوم على قصة الله، وعلى الجماعة، إلى درجة نقض العهد، إن أمكن. [وهذا هو بيت القصيد. ثم يضيف بعد ذلك مباشرة] ولكن هذا غير ممكن. فكما يقول هوشع النبي في كل أسفاره، فإن عقاب الشر سيصل إلى حد نقض العهد، لو لم يكن الله أكثر عناداً منك، ولو لم يكن أكثر أمانة منك باختصار: ''لأني أنا الله ولست إنساناً، ولذلك لن أتركك'' ».[٤٥]

خطاة مساكين: «أنت تعلم أنني أحبك»

إن هذا الوعي بكل شرورنا هو ما يجعلنا نتألم، ويتركنا بلا أعذار، لكن ليس للارتماء في أحضان اليأس أو الاتهام القاسي للذات، بل من أجل الرجاء، ومن أجل الاهتداء، ومن أجل العودة إليه. كيف؟ «هذا الاهتداء يحدث بالفعل، كلحظة أولى، في صرخة. فالاهتداء هو صرخة. من الممكن أن أُدفن مئة متر تحت الأرض، وتحت تراب أخطائي، وتحت عنادمعاييري ومقاييسي أو استحالة أو عدم القدرة على تدمير قبر مقاييسي الرهيب هذا: إنها الصرخة، أي الاهتداء. فالصرخة هي الحياة الباقية: الصرخة».[٤٦]

ويقولها بكلمات أخرى في كتاب ''اللقاء الذي يجدد الأمل'' الذي تحدث عنه داڤيد للتو: «نحن فقراء! والتعبير عن الفقر هو السؤال. وجريمتنا الكبرى هي عدم الصلاة».[٤٧] فلتكن صلاتنا هذا المساء، وصمتنا العظيم والمقصود في هذه الأيام (نريدها حقًا!) مملوءة بهذه الصرخة، التي هي رغبة في العودة إلى الآب، مثل الابن الضال الذي يقول: «سَأَقُومُ وَأَرْجِعُ إِلَى أَبِي»؛[٤٨] هي الصرخة التي تعانقها محبة ورحمة ونعمة الرب يسوع.

وفي الختام، أقرأ لكم بعض الأجزاء من كتاب «سر القديسين الأبرياء» الذي يصف فيه بيجي [Péguy] الاهتداء برقة فريدة. إذ يقول أن الاهتداء ليس كتابة قوائم خطايانا، بل تسليم أنفسنا له. ويعطينا مثالاً للحاج الذي يصل أخيراً إلى المزار الذي اشتاق إليه كثيراً وسار نحوه، وهو ينظر إلى حذائيه الملطخين بالطين وقبل أن يدخل يبدأ في تنظيفهما ولكن في لحظة معينة يتغلب الهدف، ويتغلب الحضور، وتتغلب الرغبة في المسيح، وحتى لو لم يختفِ الطين كله، يدخل ويكمل رحلته في أحضانه.
إن الله هو الذي يتحدث: «توبتكم أقبلها. فأنتم قومٌ صالحون، وفتيانٌ صالحون. / ولكن إن أردتم أن تجتروا وتجتروا بالليل كل جحود النهار، / كل الحميات وكل مرارات النهار، / وإذا أردتم أن تجتروا بالليل كل مرارات ذنوب النهار [...]. / فَلا تَضَعْوا حِسَابات وَتَسْمِيَاتٍ / إِنَّهُ كِبْرٌ كَثِيرٌ / وَمضَيَعُة للوَقْتٍ أَيْضاً. والكثير من الأعمال الورقية. / عندما يكون الحاج، عندما يكون الضيف، عندما يكون ابن السبيل / قد سار طويلاً في أوحال الشوارع، / قبل أن يجتاز عتبة الكنيسة ينظف قدميه جيداً، / قبل أن يدخل، / لأنه إنسان نظيف. /

---

[٤٥] نفس الكتاب المذكور عاليه، ص ٢٣٠
[٤٦] نفس المصدر المذكور عاليه، ص ٢٣١.
[٤٧] الأب لويجي چوساني، «اللقاء الذي يجدد الرجاء»
[٤٨] لو ١٥: ١٨

ويجب ألا يلوث طين الشوارع أرضية الكنيسة. / ولكن بمجرد أن يفعل هذا، / وبمجرد أن يمسح قدميه قبل أن يدخل، / وبمجرد أن يدخل، / لا يعود يفكر في قدميه، / ولا ينظر دائماً ليرى إن كانت قدماه نظيفتين / لم يعد له قلب، ولم يعد له عينان، ولم يعد له صوت / من أجل ذلك المذبح حيث جسد يسوع / والذكرى وانتظار جسد يسوع / يضيء إلى الأبد. [...] / أرجو أن لا يؤدي فحص ضمائركم وتوبتكم / إلى تصلبات وتقلبات إلى الوراء، / يا غليظي الرقبة / بل لتكونوا أكثر انقياداً وليكن فحص ضمائركم وتوبتكم حتى أكثرها مرارة / توبة استرخاء يا أولاد المساكين وتوبة استغفارية / وتوبة تسليم الذات بين يدي والاستقالة. / (الاستقالة منكم.) / لكني أعرفكم، أنتم دائماً كما أنتم / أنتم مستعدون لتقديم تضحيات كبيرة من أجلي، طالما أنكم تختارونها / وتفضلون تقديم تضحيات كبيرة من أجلي، طالما أنها ليست تلك التي أطلبها منكم / على تقديم التضحيات الصغيرة التي أطلبها منكم / أنتم هكذا، أعرفكم / ستفعلون كل شيء من أجلي، ما عدا ذلك القليل من التخلي / الذي هو كل شيء بالنسبة لي».[٤٩]

ليثبّتنا الصمت في هذا التخلّي والرجوع إلى الله وتسليم الذات، حتى نسمح له بالدخول، ونستطيع القول له بصدق، من أعماق شرورنا: «أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ!».[٥٠] «لقد عرفنا المحبة».

[٤٩] شارل بيجي، «سر القديسين الأبرياء»، «الأسرار»، الناشر ياكا بوك، ميلانو ١٩٩٧، الصفحات ٢٩٨ – ٢٩٩ و ٣٠١.
[٥٠] يو ٢١: ١٧.

القـداس الإلــهــي

طقس القداس الإلهي: أر ٢٠: ١٠ – ١٣؛ مز ١٧ (١٨)؛ يو ١٠: ٣١ – ٤٢

عظة الأب ماورو ليپوري
الرئيس العام للرهبنة السيسترسية

«ثُمَّ رَجَعَ ثَانِيَةً إِلَى مَا وَرَاءَ الأُرْدُنِّ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي عَمَّدَهُ يُوحَنَّا قَبْلُ، وَبَقِيَ هُنَاكَ. وَجَاءَ إِلَيْهِ كَثِيرُونَ [...]. وفي ذلك المكان آمن به كثيرون».

ربما علينا أن نعيش هذه الرياضة الروحية بالضبط كما لو كنا نحن الذين نذهب للبحث عن يسوع في الصحراء، هناك حيث كان يوحنا المعمدان يعمِّد الناس، ولنبحث عن يسوع المرفوض و المهمش والمنبوذ، الذي يريدون التخلص منه بأي ثمن، وهناك نحن أيضاً، نقف حيث يبقى متماسكاً وحيث يكون حاضراً، غير مرئي ولكنه حاضر، هناك في الصحراء، لمجرد ذهابنا للبحث عنه هناك، حيث «آمن به كثيرون». ونحن أيضاً يمكننا أن نُفَاجأ بالإيمان به، وباعتناقنا هذا الإيمان، نتحد في الوقت نفسه بمجده، بكونه ابن الله، وبكونه في الآب والآب فيه، وفي الوقت نفسه، بفعل الإيمان نفسه، نتحد بصليبه، وبكونه منبوذاً ومرفوضاً وغير محبوب وغير مُعتَرف به.

في هذه الصحراء أعطانا الله الإيمان بمجد الصليب وبقيامة المصلوب أي قيامة الحياة من الموت. وهكذا سنكون قادرين على الانطلاق من جديد بإيمان كأنما أضرمت فيه نار المحبة وبمحبة مفاجئة للرب، كما ينشد المزمور الذي تلوناه للتو: «أُحِبّكَ يا رَبُّ، يا قُوَّتي يا مُخَلِّصي، مِنَ العُنْفِ خلَصْتَني. الرَّبُّ صَخرَتي وحِصْني ومُنقِذي إلهي الصَّخرُ بِه أَعتَصِم تُرْسي وقُوَّةُ خَلاصي ومَلْجَإي».

نعم، أحبك أيها الحب الذي هو في شخصك كل القوة وكل الملجأ وكل النجاة وكل الخلاص الذي أحتاج إليه لأحيا، لأكون نفسي؛ وكل شيء هو لك لأنك خلقتني لأنتمي إليك وخلقتني لأقول كما تقول عن الآب: «أنت فيّ وأنا فيك» (راجع يو ١٠: ٣٨)، معرَّفون معًا بالشركة التي توحِّدنا، والتي تجعلنا ضروريين لبعضنا البعض، من أجل تلك المحبة التي هي

النار المتقدة دوماً لشركتكم الثالوثية، التي تأسرني، وبأسرها لي تجعلني قلباً واحداً وروحاً واحدة مع جميع ''المأسورين'' وجميع ''المندهشين'' بلقائك وفي شركة محبتك الأبدية.

وإذا حدث هذا، يحدث كل شيء! فكل شيء يتمّ فيّ، وفي كل واحد منا، وفيما بيننا، وفي كل واحد منا من أجل العالم. إذ كتبت القديسة كاترين السِّيانية [Santa Caterina da Siena] (رسالة ٢٢٨): «إن شرط النار هو أن تتقد وتحوِّل في ذاتها كل ما يقترب منها». ''النار هي المحبة''. وكل ما تمسك به هذه النار تحوله إلى اتحاد، أي إلى أن ''تنتمي للمسيح'' وبالتالي ''للجميع''، في انتماء بلا حدود للحرية في بذل الذات والتسليم الكامل للمسيح الذي يجعل الانسان قادراً على تغيير العالم بالتحديد حيث يسعى العالم لتهميشك والتخلص منك كما فعل مع يسوع.

ولكن لأنك أنت نار، أيها المسيح، ولأنك تركت ذاتك لمن يمسك بك، فإن الذي يمسك بك يبقى ممسوكاً من النار، أي من المحبة. وفي النهاية، سيصير كل شيء ناراً ويصير عُلَّيقة مشتعلة تلتهمها محبة المسيح، بالروح الذي لا يُدمِّر شيئاً، لأنّه المحبة المجسدة التي تعطينا أن نكون في الله لأنّ الله فينا.

صباح السبت ١٢ إبريل ٢٠٢٥

موسيقى لفرانز شوبرت
معزوفة لآلتي الأربيجون والبيانو دي ٨٢١
تشيللو، مستيسلاف روستروبوفيتش – بيانو، بينچامين بريتين
سلسلة «الروح اللطيف» رقم ١٨، (ديكا) يونيفيرسال

صلاة التبشير الملائكي

صلوات التسابيح الصباحية

التأمل الأول
مونسينيور چوڤاني باكوزي

«ما قيمة الحياة إن لم نبذلها؟» [٥١]

ليس من السهل عليَّ أن أبدأ هذا الصباح. فقد علمت الليلة الماضية بنبأ الوفاة المفاجئة لإلسي [Elsi]، وهي صديقة عزيزة لي. وأود أن أقرأ لكم ما كتبته لي منذ أيام قليلة، بينما كانت تستعد لدخول المستشفى لإجراء عملية كان ينبغي أن تشفيها وبدلاً من ذلك توفت وذهبت للقاء الرب: «لقد منحني الرب هبة أن أعيش الصوم الكبير متحدة به، وهو يُعِدُّني حتى يكون لدي الوعي بأن حياتي تعتمد عليه وحده. فقد تعرضت إلى تجربة نسيان ذلك في بعض الأحيان، ولكن لأن الله أعظم، فهو يرافقنا بسحابة من الشهود الذين يُصَلُون من أجلي ويرافقونني. واليوم يطلب مني الرب، بمحبته اللامتناهية، أن أرافقه وأتحد مع آلامه في هذا الأسبوع المقدس الذي سأقدم معه كل ألم وكل تضحية». ليهَبِك الرب حقاً الفرح والحياة. وأنا أفكر في العديد من الأصدقاء الذين يعانون حالياً.

[٥١] پ. كلوديل، «البشارة لمريم»، بور، ميلانو ٢٠١٠، ص ١٧٩

ممتلئين بمحبة المسيح

«نَجِّنا من الشرّ»، كما طلبنا منذ قليل في الصلاة الربانية. نجّنا من الشرّ الذي هو الكذب، حتى يمكننا أن نتكلّم اليوم عن المحبة وأن نسمع الكلمات التي سنستمع إليها ككلمات مُجرَّدة وبعيدة.

يقول الإنجيل حسب القديس مرقس في الإصحاح ١٢: «وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَاحِدٌ مِنَ الْكَتَبَةِ كَانَ قَدْ سَمِعَهُمْ يَتَجَادَلُونَ، وَرَأَى أَنَّهُ أَحْسَنَ الرَّدَّ عَلَيْهِمْ، فَسَأَلَهُ: ''أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أُولَى الْوَصَايَا جَمِيعاً؟''. فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: ''أُولَى الْوَصَايَا جَمِيعاً هِيَ: اسْمَعْ يَاإِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ''. فَأَحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ وَبِكُلِّ فِكْرِكَ وَبِكُلِّ قُوَّتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى. وَهُنَاكَ ثَانِيَةٌ مِثْلُهَا، وَهِيَ أَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. فَمَا مِنْ وَصِيَّةٍ أُخْرَى أَعْظَمُ مِنْ هَاتَيْنِ».[٥٢]

ثم يكتب الأب چوسَّاني في كتابه «في أصل الزعم المسيحي»: «إن معنى الحياة الانسانية، والمصير الفريد والشخصي الذي هو على المحك فيها، يعتمد على تلك المحبة الفريدة والشخصية، كما ينيرنا يسوع عن المعيار الأسمى في الدينونة الأخيرة».[٥٣] هذا هو قانون الوجود. هذا هو الاهتداء الذي نطلبه: ألا وهو محبّة المسيح التي تصبح محبتنا. إذن، المسألة ليست مسألة قواعد حياة نطبّقها بمجهودنا الشخصي، بل مسألة تدفق حياة المسيح فينا، ودهشة رؤية كيف تتدفق داخلنا وتملأنا هذه الحياة، وكيف تفيض في قلوبنا و تسري في كياننا جِدة قلبه ونضارته. وكما يقول لنا الأب چوسَّاني: « إن هذه الأمور لا تتجلى لنا عبر تحليل سطحي ومبتذل، بل تتسرب إلى دواخلنا كما لو كانت بفعل التناضح أو الضغط الأسموزي؛ إذ تتغلغل فينا حين نتأمل سر المسيح، مثل يوحنا وأندراوس اللذين كانا يراقبانه يتكلم دون أن يتفوهوا بكلمة.» [٥٤]

إنه ليس جهداً: فالاهتداء الحقيقي لا علاقة له بالوعظ الأخلاقي، إنه نعمة. فمن اللقاء، الذي يجتاح به المسيح حياتنا، ينبع الانغماس المستمر في حدث المسيح. فإذا قبلنا هذا الاجتياح المتواصل للسرّ في التاريخ، كما يأتي للقائنا الآن وهنا، فإنه يحوّلنا باستمرار إلى خليقة جديدة. لهذا السبب فإن البدء بالحديث عن المحبة يعيد إلى الأذهان ما قاله الأب چوسَّاني في الاجتماع العام للأخوية والمذكور في كتابه «هل يمكن العيش هكذا؟»: « إن موضوع المحبة هو أجمل الموضوعات في هذه السنة (على الرغم من أن الموضوع الأكثر إثارة للإعجاب، في الخفاء الذي يحدث فيه، هو الإيمان: فأنت تدرك حضوراً في الظلام. إذا قبلت هذا الحضور، في الظلام، تأتيك أيضاً فكرة المحبة)».[٥٥]

---

[٥٢] مر ١٢: ٢٨ – ٣١

[٥٣] الأب لويجي چوساني، «في أصل الزعم المسيحي»، كتاب سبق ذكره، الصفحات ١٠٦ – ١٠٧

[٥٤] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره، ص ٣٢٢

[٥٥] نفس الكتاب المذكور سابقاً، ص ٣٦٠

في الإيمان، من بؤساء إلى فقراء

في حين أننا نريد أن نكتشف المحبة أكثر فأكثر، إلا أن الإيمان هو الموضوع الذي نريد تناوله في نهاية الأمر. أسترجع هنا فقرة قالها الأب ليبوري في الرياضة الروحية قبل سنتين: «إن الإيمان هو الفضاء فينا الذي يتوافق مع حدث المسيح، مع المسيح الذي أتى والحاضر ليخلّصنا. فالإيمان هو الانفتاح فينا على حدث المسيح، مخلّصنا. ولا يوجد شيء أكثر من هذا، ولا شيء أكثر أهمية من هذا، لنفهمه عن الإيمان وعن ماهية الإيمان وعما يجب أن يعنيه لنا. ليس الإيمان هو الذي يخلّصنا: ليس الإيمان هو الذي يخلّصنا: فالإيمان هو الذي يُمكِّن المُخلِّص من خلاصنا وخلاص العالم. فبدون المسيح وبدون مجيء المسيح، يصير الإيمان بلا مضمون وبلا معنى».[٥٦]

إذ يسمح الإيمان للمسيح بتغيير جذور كياننا، ويحوِّلنا تدريجياً إلى ذاته. وهكذا يحدث فيّ أيضاً هذا التحول التدريجي؛ ربما يحدث كل شيء في لحظة في كبار القديسين، لكنه يظل دائماً مسيرة. إنه يُحوِّلنا ويُحوِّل بؤسنا وبمحبته فينا يجعلنا فقراء، فقراء الله، ومُستجدِين له، حتى يحررنا من كذب معاييرنا (الوهمية) الزائفة. ومن البؤس إلى فقراء الله! لقد تأثرت عندما قرأت في «ثورة الذات» هذه العبارات: «لقد كان لديه اهتمام عميق بأخيه البائس. ''إذ التفت وتحنن على الجمع كله لأنهم كانوا كالقطيع بلا راعٍ. وكان هو النور. لذلك لم يكن فقط شقاء المفلوج والأعمى والأصم ومن لا خبزله، وبؤس المفلوج، وبؤس الأعمى والأصم ومن لا خبزله، وبؤس النفس، وبؤس الحيرة والغموض، وبؤس افتخار الفرّيسيّ والتيه والكبرياء،وأيضاً بؤس الساق التي احتاجت الى تقويم، وبؤس عين الأعمى المحتاجة لفتحها والأذن الصماء المحتاجة لتسمع، ومن ليس لديه طعام ليأكله والذي يحتاج إلى الغني ليدعوه إلى مشاركته مائدة طعامه. إن يسوع يعيش مشاركة عميقة وشاملة، ببذل ذاته للإخوة والأخوات الذين يجعله الآب يلتقي بهم ليحررهم من كل بؤس. [...] فقد أراد أن يرفع الإخوة من البؤس ليجعلهم «فقراء»: فقراء الرب، فقراء الله. إذ أن فقيرالله ليس هو المصاب باعوجاج في ساقه، أو الذي عينه متورمه، أو الذي في أذنه صمم وانسداد، أو الذي لا مال في جيبه، أو الجائع: إن فقيرالله هو الذي ينتظر الخلاص الذي يأتيه من الله وكفى. لقد كان عمل المسيح هو رفع الأخ الذي قابله من البؤس ليحوله من بائس ومسكين إلى فقيرالى الله، ليجعله ينتظر الخلاص الذي يأتيه من يهوه».[٥٧]

---

٥٦ الأب ماورو ليبوري، «العيون ثابتة على يسوع، أصل الايمان وإكتماله»، ملحق مجلة «آثار» عدد ٥ / ٢٠٢٣، ص ٣٢

٥٧ الأب لويجي چوساني، «ثورة الذات»، كتاب سبق ذكره، الصفحات ٢٦٢ – ٢٦٣

فهذه النظرة الجديدة من يسوع، وهذه الرحمة التي تُحررنا (حتى نشعر بأننا في البيت، في بيتي، كما تقول الترنيمة التي استمعنا إليها[٥٨])، تجعلنا بؤساء وفقراء عِطَاشاً إليه، ثم ينقلها المسيح إلى خاصته وإلينا، «لتكن المحبة التي أحببتني بها فيهم وأنا فيهم»، ثم ينقلها إلى جماعة الرسل، ثم تنتقل منه إلى الكنيسة التي تنقل بدورها هذه النظرة الجديدة وهذه الرحمة.[٥٩] لنفكر بأول معجزة، أي أول عمل محبّة عظيم يرويه لنا سفر أعمال الرسل وهو معجزة شفاء المفلوج عند باب الهيكل الجميل: والمعجزة اسمها، يسوع. «فقالَ بُطرس: لَيسَ لي فِضَّةٌ ولا ذَهَبٌ بل ما هُوَ لي إِيَّاهُ أُعطيك: باسْمِ يَسوعَ المَسيح النَّاصِريّ، قُمْ، وامْشِ».[٦٠] إنه واقع إنساني أصبح فيه البؤس سؤال الفقراء المتجهة عيونهم وقلوبهم إلى يسوع، مصدر الحياة الجديدة (كما وعد المرأة السامرية: «وَلكِنَّ الَّذِي يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا، لَنْ يَعْطَشَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَداً، بَلْ إِنَّ مَا أُعْطِيهِ مِنْ مَاءٍ يُصْبِحُ فِي دَاخِلِهِ نَبْعاً يَفِيضُ فَيُعْطِي حَيَاةً أَبَدِيَّةً».[٦١]) ومحبة جديدة تتدفق منه من خلالهم – ومن خلالنا! – للجميع. كما قال: "أَنَا فِيهِمْ، وَأَنْتَ فِيَّ، لِيَكْتَمِلُوا فَيَصِيرُوا وَاحِداً، حَتَّى يَعْرِفَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي وَأَنَّكَ أَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي».[٦٢]

ولهذا، فإن «الموضوع هو الإيمان» والذي يتمثل في ترك المجال له (للمسيح) لكي يعمل: «لا يقدر أحد منا أن يكون هو نفسه، أي أن يكون حقيقياً، إن لم يَمُدَّ يده ويستجدي من الله أن يكمله بعد أن يفعل ذلك: ''يا رب أنت الذي بدأتَ هذا العمل الصالح الذي يحمل اسمي ولقبي فقُدني إلى تحقيق ذاتي''؛ لأن القدرة على المحبة تعني القدرة على النظر إلى الناس وعلى معاملتهم، وعلى النظر إلى الأشياء وعلى التعامل معها كما ينظر الله إليها ويتعامل معها.[٦٣] حتى أكون ذاتي ولتحقيق قانون وجودي، وبالتالي الأخلاقيات – أي «الحقيقة في ذاتها وفي العلاقات وفي العالم»[٦٤] – وحتى أعيش المحبة لا يمكنني أن أفعل ذلك إلا من خلال «اجتياح» المسيح هذا لكياني.

ويطلبها لنا يسوع في الصلاة في إنجيل القديس يوحنا بالإصحاح السابع عشر: «أَيُّهَا الآبُ الْبَارُّ، إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ، أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ، وَهؤُلاَءِ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي، وَقَدْ

---

[٥٨] «بيتي هو عيناك التي تستيقظان، تنظران بدهشة إلى الصباح. تنقلان إلى هذا العالم يقين العالم الذي تعيش فيه الأمل. أستمع إلى فرحة النغمات التي تجلب كلماتك إلى حياتي. نغمات هذا الترنيمة ترافقني لأن بيتي موجود في صوتك أيضاً. بيتي في قلب الحياة حيث ينبض قلب بيتك. بيتي هو في قلب الحياة حيث يشتعل نار بيتك. وترقص في عيني ألوان الوجوه المختلفة التي تعانقني. ألوان الأرض والقمح، ألوان حنونة لأعراق بعيدة. بيتي هو الصداقة التي منحتني إياها، الابتسامة التي تظهر عند وصولك. يداك التي تمسك بيدي، عيناك التي ترفع نظري» «بيتي» P. Giovanetti - J. Bossart.

[٥٩] «في الواقع، لم ير أحد قط الله كما هو في ذاته. ومع ذلك، فإن الله ليس غير مرئي تمامًا بالنسبة لنا، ولم يبقَ بالنسبة لنا مجرد كائن بعيد المنال. لقد أحبنا الله أولاً، كما تقول رسالة يوحنا المذكورة (راجع 4، 10)، وقد ظهر هذا الحب الإلهي بيننا، وأصبح مرئياً لأنه «أرسل ابنه الوحيد إلى العالم، لكي نحيا له» (1 يو 4، 9). أصبح الله مرئيًا: في يسوع نستطيع أن نرى الآب (راجع يو 14: 9). في الواقع، هناك رؤية متعددة لله. في قصة الحب التي يرويها لنا الكتاب المقدس، يلتقي الله بنا، ويحاول أن يغلبنا – حتى العشاء الأخير، حتى قلبه المطعون على الصليب، حتى ظهورات القائم من بين الأموات والأعمال العظيمة التي قاد بها، من خلال عمل الرسل، مسيرة الكنيسة الناشئة. وفي تاريخ الكنيسة اللاحق أيضًا، لم يغب الرب: فهو يلتقي بنا دائمًا من جديد – من خلال الرجال الذين يتجلى فيهم؛ من خلال كلمته، في الأسرار، ولا سيما في الإفخارستيا. في ليتورجية الكنيسة، في صلاتها، في جماعة المؤمنين الحية، نختبر محبة الله، ونشعر بحضوره، ونتعلم بهذه الطريقة أيضًا أن نعترف به في حياتنا اليومية. هو أحبنا أولاً ويستمر في حبنا أولاً؛ ولهذا يمكننا أن نرد عليه بالمحبة. الله لا يأمرنا بمشاعر لا نستطيع أن نثيرها في أنفسنا. هو يحبنا، ويجعلنا نرى ونختبر محبته، ومن هذا "الأول" لله، يمكن أن تنبت المحبة فينا أيضاً كرد على محبته. (البابا بندكتوس السادس عشر، الرسالة البابوية العامة «الله محبة»، ١٧)

[٦٠] أع ٣: ٦

[٦١] يو ٤: ١٤ – ١٥

[٦٢] يو ١٧: ٢٣

[٦٣] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره، ص ٣٥٩

[٦٤] الأب لويجي چوساني، «ثورة الذات»، كتاب سبق ذكره، ص ٢٤١

عَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ، وَسَأُعَرِّفُهُمْ أَيْضاً، لِتَكُونَ فِيهِمِ الْمَحَبَّةُ الَّتِي أَحْبَبْتَنِي بِهَا، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ».[٦٥] وهذا فقط ما نستطيع أن نطلبه، بل يجب أن نطلب ذلك وكفى، لأنها حقيقة حياتنا.

المحبة، حميمية الله السرية

والآن يمكننا إسترجاع الخلاصة الجميلة من كتاب ''هل يمكن العيش هكذا؟'': «إن المحبة، هذا العمود الثالث الذي يحمل هيكل الله العظيم الذي هو العالم، تشير إلى المضمون الأعمق، وتكشف عن الحميمية، وتكتشف قلب ذلك الحضور الذي يعترف به الإيمان».[٦٦] ويؤكد البابا بندكتوس السادس عشر بدوره في رسالته البابوية العامة التي تحمل عنوان «الله محبة» – ونشير هنا إلى نص أساسي آخر يجب إعادة قراءته – والذي يؤكد بدوره أن المحبة هي مضمون الإيمان، وأن الله الذي نؤمن به هو المحبة ولا شيء آخر، ومحبته لامتناهية، لكنه يؤكد أيضاً أننا نكتشفها في حدث اللقاء. ويقول هذا بالعبارة التي جعلها البابا فرنسيس فيما بعد شعاره الخاص، وقد استعملها في إرشاده الرسولي «فرح الانجيل»[٦٧] وفي مرات عديدة أخرى: «اللهَ مَحَبَّةٌ. وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ، فَإِنَّهُ يَثْبُتُ فِي اللهِ، وَاللهُ يَثْبُتُ فِيهِ» (١ يو ٤ : ١٦). تُعبِّر هذه الكلمات من الرسالة الأولى ليوحنا بوضوح فريد عن جوهر الإيمان المسيحي: فالصورة المسيحية عن لله وعن صورة الإنسان ومسيرته المترتبة على ذلك. وعلاوة على ذلك، يُقدِّم لنا القديس يوحنا في هذه الآية نفسها، إذا جاز التعبير، صيغة موجزة للوجود المسيحي: ''وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا وَصَدَّقْنَا الْمَحَبَّةَ الَّتِي لِلَّهِ فِينَا. اللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ.'' [في الفصل الثالث من رسالة يوحنا الأولى، في الآية ١٦، وهناك العبارة التي اخترناها عنواناً لرياضتنا الروحية: «لقد عرفنا المحبة»]. « لقد آمنّا بمحبة الله: بهذه الكلمات يستطيع المسيحي أن يعبر عن القرار الجوهري لحياته. [في هذه النقطة، هناك العبارة التي استعملها البابا فرنسيس مرات عديدة] أن تكون مسيحيًا ليس نتيجة اختيار أخلاقي أو فكرة سامية، بل هو لقاء بحدث، بشخص، يمنح الحياة أفقاً جديداً واتجاهاً حاسماً.».[٦٨]

وهنا أستطيع القول بأن فكر الأب جوسَّاني يتوافق تماماً، حتى في الكلمات المستخدمة، مع تعليم سلطة الكنيسة.

«لقد عرفنا المحبة»: في اللقاء أكتشف أن الله هو الحب، وأن المحبة هي نسيج الواقع. وحدث اللقاء يسحرني ويجذبني ويبدأ في كشف النقاب عن النسيج الحقيقي للحياة، نسيج العالم الذي هو المحبة. بعد هذه الملاحظة الأولى، ومن دون أن يشرح بعد ما هي المحبة، يؤكد الأب جوسَّاني على أننا ملزمون بالاعتراف بها، حيث أن العقل يدرك ما

---

[٦٥] يو ١٧: ٢٥ – ٢٦

[٦٦] الأب لويجي جوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره، ص ٣٢٢

[٦٧] «لن أتعب من تكرار كلمات البابا بندكتوس السادس عشر التي تقودنا إلى صميم الإنجيل: «في بداية الحياة المسيحية، لا يوجد قرار أخلاقي أو فكرة عظيمة، بل لقاء مع حدث، ومع شخص يعطي الحياة أفقاً جديداً واتجاهاً حاسماً». البابا فرنسيس، إرشاده الرسولي «فرح الانجيل»، ٧

[٦٨] البابا بندكتوس السادس عشر، الرسالة البابوية العامة «الله محبة»، ١

يتوافق مع مقوماته الأساسية، حتى لو لم يتمكن من استنتاجه من الخبرة: «نحن أمام العامل الذي يتوافق مع احتياجات قلوبنا – بل يرفعها، كما لو أن رجلاً يقف على أطراف أصابع قدميه ليرى شيئاً يرغب في رؤيته ولا يراه بعد، ويمد عنقه ولا يراه بعد، ولكن الشيء موجود، لأن صوته مسموع – وهو غير قابل للتفسير، أي لا يمكن استنتاجه مما يختبره الإنسان».[٦٩]

إن كل ذرة في كياننا تتوق بشدة إلى أن نُحِب ونُحَب، إنها رغبة لا يمكن قمعها، تماماً كشوقنا للحقيقة والعدالة والسعادة. ولكن اللقاء هو الذي «يرفعها» ويدفعها نحو إدراك لا يمكن تخيله. فالمحبة، كسرّ عميق في علاقتنا بالله، لا يمكن تفسيرها واستنتاجها من الخبرة الشخصية. إذ يمكننا فهمها فقط عندما يكشفها لنا. ولم نكن لنعرفها إن لم يشأ الله أن يُدخِلنا في حميمية محبته. وبهذه الطريقة، يربط الأب چوسَّاني بين بنية وطبيعة كياننا الذي يطلب المحبة ويتوق لها، والذي يتوق إلى أن يُحِب وأن يكون محبوباً – وبين الجديد الغير المتوقع للحدث الذي يكشفها بطريقة لا يمكن تصورها. وتكتشفها مُطَابِقة، لكنها غير قابلة للتفسير، ولا يمكن استنتاجها من التجربة الشخصية قبل اللقاء مع المسيح. تذكر أيضاً أنه يجب التحدث عن المحبة، بل التحدث عنها باستمرار، حتى يتسنى تدريجياً «سك وتشكيل» شيء فينا «أكبر وأعمق من الكلمات والأفكار».[٧٠]

يتقدّم الأب چوسَّاني شيئاً فشيئاً في وصفه لهذا الشيء «الذي هو أكثر من كونه كلمة ومن كونه فكر»، وهو يعلم أنه بإعطاء التعريف مباشرةً سنظن أننا نعرفه بالفعل، ويؤكد على معناه الاشتقاقي: «فكلمة المحبة مشتقة من الكلمة اليونانية charis، التي تعني في اليونانية مجاني أو مجانية. وبالتالي، تُذَكِرنا المحبة بالشكل الأسمى للتعبير عن الحب». وهنا يبدأ بالتعريف: إنها علاقة حب تنشأ كاملةً بدون مقابل وبدون عائد وبدون «أسباب»: «فالمحبة تعمل بدافع من الحب الخالص، [بالحب فقط] [...]. فعطاء الحب وفعله قد تم؛ لذلك لم يعد هناك حاجة إلى أي إضافة ولا تكملة له». إنه خير ومصير الآخر فقط. لقد اكتشفنا مصير الآخر عندما أتى يسوع إلى العالم (وما زلتُ ألتقي به اليوم). يُولد هذا الشغف فقط عندما يكون المسيح حاضراً والذي يحمله تجاه مصيري ومصير الجميع: «فالعلاقة مع مصيره هي العلاقة مع حضور، لأن مصيره أصبح ذاك الذي يسير في الطرقات والذي يأخذ الأطفال بين ذراعيه والذي ينظر إلى المجتمع ويبكي من أعلى التلّة ثم يقبضون عليه كمجرم ويصلبونه ويطلقون سراح القاتل. وكما يُقال المحبة هي حُبٌ خالص يتفانى في إرادة الخير للآخر، وهو الخير الحقيقي الذي تريده للآخر أي مصيره وعلاقته بالمسيح». [٧١] إذن الدافع وسبب المحبة، إن لم يكن مدعوماً بسبب منطقي فلا معنى له. «فهو موضوع الحبّ بشكل كامل وحصريّ وحقيقي. إذن ما هو الموضوع الحقيقي للحب؟ إنه خير الآخر ومصيره، وبالتالي علاقته بالمسيح».[٧٢] لذا،

---

٦٩ الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره، ص ٣٢٣
٧٠ الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا حقاً؟»، بور، ميلانو ٢٠٢٥، ص ٤٥٠
٧١ الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره، ص ٣٢٤ – ٣٢٥
٧٢ نفس المرجع المذكور عاليه، ص ٣٢٥

عندما يصف القديس بولس المحبة بالعديد من الصفات في الاصحاح ١٣ من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس «المحبَّةُ تتأَنَّى وتَرْفُق؛ المحبَّةُ لا تَحْسُد؛ المحبَّةُ لا تَتباهى، ولا تَنْتَفِخ؛ لا تَأتي قَباحَةً، ولا تطْلُبُ ما لِنَفْسِها؛ لا تحتَدُّ، ولا تظنُّ السُّوء؛ لا تَفرحُ بالظُّلمِ بل تَفرَحُ بالحَقّ؛ تَتَغاضى عَن كُلِّ شيء، وتُصَدِّقُ كلَّ شيءٍ، وترْجو كُلَّ شيءٍ، وتَصْبِرُ على كلِّ شيء. المحبَّةُ لا تَسْقُطُ أَبدًا»[٧٣] وماذا في عينيها؟ المسيح، لأن محبة المسيح نبيلة وعظيمة النفس وكريمة، لاتحسد ولا تتباهى ولا تنتفخ غروراً ولا تُقَصِّر في احترامها للآخر ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد غضباً ولا تظن السوء («يا أبتاه، اغفر لهم، فإنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» وهو يُسمَّر على خشبة الصليب) ولا تفرح بالظلم بل تفرح بالحق وتتغاضى عن كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء.

يصف القديس بولس المحبة التي يراها تتحقق في المسيح والتي لن تكون لها نهاية لأنها تأتي من الله، ولذلك يقدمها لنا القديس بولس كوعد يتحقق في أولئك الذين يسمحون للمسيح بأن يغيرهم تغييراً شاملاً. فالاقتداء بالمسيح، بالنعمة، يبدأ بالتحقّق كتلبية لمحبته العظيمة. سيتذكر الأكبر سناً الرياضة الروحية للأخوية التي أُقيمت في عام ١٩٨٧، والتي كان يرجع إليها دائماً الأب چوسّاني للاستشهاد بالمقابلة التي أُجريت مع الأم تيريزا من كلكوتا والتي عندما سألها المحاور، متأثراً برؤية كل ما تقوم به راهبات المحبة، لماذا يَقُمنَ بكل هذا العمل؟ فأجابت الأم تيريزا: «إنهن يحببن يسوع» و تكرر «إنهن يحببن يسوع ويحولن ذلك الحب إلى عمل حي. إن خدمتنا لأفقر الفقراء ليست دعوتنا، بل انتمائنا للمسيح هو دعوتنا الحقيقية».[٧٤]

وكتب الأب إتيان پيرنيه [Étienne Pernet]، مؤسس رهبنة «راهبات المحبة الصغيرات» في ڤيا مارتيننجو: «كثيرون يجدون ما تقومون به رائعاً، ولكن تذكّروا أنه ليس سوى الوسيلة وليس الهدف من دعوتكم، فإن لم تفهموا هذا الأمر فأنتم فقط خيّرون ومحبّون للغير، هذا كل ما في الأمر. فلا تظنوا أن هذا قد أضيف إليكم بعد ذلك. كلا، يا بناتي، لقد وُلدِتّن من هذا الفكر، إذ يجب أن تكونن رسلاً أولاً. ولا يكفي أن تكون لديكنَّ الحماس لرعاية المرضى في بيتوهم، بل يجب أن تكون لديكنَّ حماس مجيء ملكوت يسوع المسيح في الطبقة العاملة والفقيرة».[٧٥] من بؤساء إلى فقراء.

هنا نفهم أن وصية المحبة ليست وصيتين بل وصية واحدة تحمل في داخلها وعداً لا فرضاً («يجب أن...»؛ «ينبغي أن...»): فمحبة الله غير المشروطة والكاملة تفيض فينا محبة القريب ومحبة مصير الآخر كشريعة للحياة.

---

[٧٣] ١ كور ١٣: ٤ – ٨

[٧٤] الأب لويجي چوساني، «الملائمة الانسانية للايمان»، بور، ميلانو ٢٠١٨، ص ٢٣٧

[٧٥] راجع الأب إتيان پيرنيه، «إرشادات أبينا المبجل»، ٨، ١٣ نوڤمبر ١٨٩٠، النسخة المكتوبة بخط اليد، ص ٣٧٣

بذل الذات بتأثر

لنعود إلى كتاب «هل يمكننا العيش هكذا؟»: بعد أن قدَّم الأب چوسَّاني بطريقة تاريخية واختبارية تقريباً كيف تجلت المحبة كشريعة حياة، يبدأ بالحديث عنها من خلال تعريفها كمفهوم مسيحي وليس كمفهوم عام. وقد قام البابا بنديكتوس السادس عشر بشيء مماثل، بعد أقل من عام من وفاة الأب چوسَّاني، من خلال رسالته العامة «الله محبة» التي يصف فيها أصالة المحبة المسيحية بالنسبة لأشكال المحبة الإنسانية. ويرسم لنا الأب چوسَّاني سمات هذه الأصالة كما تجلت في المسيح. فالكلمة الأولى التي تعبّر عنها هي: عطية، عطية الذات الخالصة. ويقول في الواقع: «إن السرّ يظهر للإنسان كمجانيّة، أي كمحبّة. بل، يمكننا أن نقول ما قاله القديس يوحنا: إن طبيعة الله ذاتها هي محبة. [...] «Deus caritas est». [...] وتظهر طبيعة الله كمجانية حيث أعطت ذاتها للإنسان. العطيّة: هذه هي الكلمة الأولى التي يُثبَت فيها مصطلح المجانيّة أو مصطلح المحبة أو مصطلح الحب. فهِيَ عَطِيَّةٌ خالصة، كما قُلْنَا: بِلَا عائد ولا مقابل وهذا يعني أنها هي عطية خالصة».[٧٦]

إنه يظهر ذاته كمحبة، أي أنه يُظهر لنا حميميته: فكل شيء في الله هو محبة. وإذا كانت المحبة هي كينونته، فهو يعطينا كينونته أولاً. لا يمكنني أن أعبّر عن ذلك بكلمات أخرى غير تلك التي يستخدمها الأب چوسَّاني: «إن الله يهب ذاته ويهبها للإنسان. ما هو الله إذن؟ إنه مصدر الوجود. فالله يهب الإنسان الوجود: ويعطي للإنسان أن يكون؛ وأن يكون أكثر من ذلك وأن ينمو؛ ويعطيه أن يكون ذاته كاملاً، وأن ينمو حتى يحقق ذاته (فواجب الحياة العظيم: هو تحقيق ذواتنا)، أي أنه يعطي للإنسان أن يكون سعيداً».[٧٧] ويضيف "فارقاً دقيقاً": «يعطينا المسيح أكثر مما نحتاج لخلاصنا»[٧٨]، لكي نتمكّن من القيام بواجب الحياة ألا وهو تحقيق ذواتنا، فهو يعطينا ذاته، وهذا أكثر بكثير مما يلزم لكي تكون لنا الحياة. بل أكثر بكثير مما هو ضروري.

تم التزيين الداخلي لمزار الصليب الأقدس الجميل في مدينتي سان مينياتو بمجموعة من اللوحات الجدارية لرسام من القرن الثامن عشر، أنطونيو دومينيكو بامبيريني [Antonio Domenico Bamberini]، وموضوعها آلام يسوع. تبدأ المجموعة بمشهد الميلاد، وتوجد تحتها خرطوشة باللاتينية تعني: «بداية صلب يسوع: فكل قشة كانت صليباً مروعاً لجسده الغض». ويمثل المشهد الثاني ختان يسوع، بعد ثمانية أيام من ولادته. و معنى المكتوب تحت اللوحة الجدارية هو: «كان هذا الدم الثمين كافياً لفداء البشر، لكنه لم يكن كافياً لمحبة الفادي». في مجانية محبة المسيح، هناك هذا الفيض الذي يتجاوز ما نستحقه، فهذه المجانية الشاملة، الغامرة إلى حد أنها تتركنا مُفعَمين بالدهشة والامتنان: «لقد فعل أكثر مما كان ضرورياً ليخلّصنا». كان يستطيع المسيح أن

---

٧٦ الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره، ص ٣٢٦ – ٣٢٧

٧٧ نفس المرجع المذكور عاليه، ص ٣٢٧

٧٨ نفس المرجع المذكور عاليه، ص ٣٢٨

يقول فقط ليخلّصنا: ''يا أبتاه اغفر لهم''، وكان هذا كافياً. وبينما يتناول العشاء الأخير جالساً، كان في استطاعته أن يقول: ''يا أبتاه اغفر لهم''. وهذا وحده كان يكفي، بل كان يكفيه أن يقول: ''نعم يا أبتاه أرسلني''، وسكن أحشاء مريم، وصار طفلاً، ثم صار رجلاً. وهذا وحده كان كافياً. لكن على العكس: «حيث يكثر الشر تكثر النعمة».[٧٩]

كلما تعمَّقنا في رؤية محبة المسيح التي تفيض وتتجاوز كل ما هو مطلوب، كلما شعرنا بضغط ملحّ في داخلنا لتكون المحبة هي استجابتنا التي تظهر في البداية كإحساس مؤلم بتقصيرنا وعدم امتناننا. فالشعور بالألم لعدم قدرتنا على التجاوب مع هذا الحب اللانهائي هو في حد ذاته بداية المحبة في قلوبنا، وحتى عدم الامتنان هذا يحتضنه المسيح ويفديه بحبه الفياض. إنه أعظم بما لا يقاس، وأكثر مما نحتاج.

والكلمة الثانية التي يقدّمها الأب چوسَّاني بعد كلمة « هبة الذات» هي كلمة «مُتأثِّر وجدانياً». هبة الذات تُعبِّر عن التأثر الوجداني للمسيح. هبة الذات، متأثراً. إنه «يغفر خيانة الإنسان، وتصوره الخاطيء، وتشتت ذهنه...»،[٨٠] تشتتنا، وخيانتنا. ويستشهد الأب چوسَّاني بمقطع من سفر أرميا يلخّص نظرة الله المتأثّرة ببؤسنا، والذي كان أيضاً عنوان الرياضة الروحية لعام ٢٠١٦ [٨١] التي وعظها لنا الأب يوليان كارون: «''أحببتك حبًّا أبديًّا، لذلك جذبتك إليّ [أي جعلتك شريكاً في طبيعتي]، مشفقاً على عدميتك''، لقد قمت دائماً بترجمة هذه العبارة بهذه الطريقة. ''مشفقاً على عدميتك'' ماذا تعني؟ بماذا تتعلق؟ إنها تتعلق بشعور وبعاطفة! وبقيمة هي شعور. لأن الحنان والمودة شعور؛ وكونك ''تحس بالميل إلى شخص أو شيء'' هو شعور ولكنه قيمة».[٨٢]

تَأثُر يسوع في لقاءات الانجيل

دخلت المجانية المطلقة إلى العالم بيسوع. لقد وهب نفسه لنا بعظيم الرحمة والشفقة. فعطية المسيح هي «عطاء الذات متأثراً». لهذا السبب أودّ الآن العودة إلى بعض المقاطع من الإنجيل، لأقف بالتحديد أمام مجانيّة المسيح وتأثره في محبته لنا، كما أخبرنا الأب چوسَّاني، وكما علَّمنا ويعلِّمنا النظر إلى المسيح ثم إفساح المجال له داخلنا.

ويكتب الأب چوسَّاني: « هذه الرحمة – «بإشفاقه على عدميتك» – يَحسُنُ لنا أن نكتشفها في الإنجيل. فعلى سبيل المثال، عندما – كما قيل مرتين – أنه رأى ذات مساء مدينته من على التلّة وبكى على مدينته مفكراً في خرابها. تلك المدينة التي ستقتله بعد أسابيع قليلة، ولكن لا دخل لذلك في علاقته بها. أو في ذلك المساء، قُبَيلَ اعتقاله بلحظات، بينما كان ذهب الهيكل يتلألأ تحت أشعة الغروب، «إيداكروسي» (كما يقول النص

---

٧٩ نفس المرجع السابق
٨٠ نفس المرجع السابق
٨١ الأب يوليان كارون، «لقد أحببتك حبًا أبديًا، وأشفقت على عدميتك»، ملحق مجلة «آثار» عدد ٦ / ٢٠١٦
٨٢ الأب لويجي چوساني في عظة الأب يوليان كارون، «لقد أحببتك حبًا أبديًا، وأشفقت على عدميتك»، مرجع سبق ذكره، ص ٤١

اليوناني) أجهش بالبكاء، حزناً على مصير مدينته. فقد كانت شفقته كشفقة الأم التي تتشبث بوليدها، رافضةً أن تدعه يواجه خطراً مميتاً».[٨٣]

يُظهر لنا الانجيل هذه المجانية المطلقة في كل الشفاءات وكل المعجزات وكل الأمثال، من وليمة عُرس قانا الجليل إلى قيامة لعازر، وهذا المعيار المطلق، والذي يعبّر عنه بالصفة «متأثر وجدانياً». فعلى سبيل المثال: «وجاءَهُ الكَتبةُ والفرِّيسيُّونَ بامْرَأَةٍ بوغِتَتْ في زِنًى، وأَقامُوها في الوسَطِ، وقالُوا لهُ: "يا مُعَلِّم، إنَّ هذِهِ المَرأَةَ قد أُخِذَتْ في فِعْلِ الزِّنى؛ وقد أَوْصانا مُوسى في النَّامُوسِ أَنْ تُرجَمَ أَمثالُ هذهِ "المَرأَة"؛ فأَنْتَ، ماذا تَقول؟" - قالُوا هذا لِيُجَرِّبوهُ حتَّى يَجِدوا ما يَشكونَهُ بِه. - أَمَّا يَسوعُ فأَكَبَّ يَخُطُّ بإِصْبَعِهِ على الأَرض. ولمَّا استمرُّوا يَسأَلونَهُ، انْتَصَبَ، وقالَ لهم: "مَنْ هُوَ فِيكم بلا خَطيئَةٍ، فَلْيَبْدَأْ ويَرمِها بِحَجَر!" ثمَّ أَكبَّ أَيضاً يَخُطُّ على الأَرض. فلمَّا سَمِعوا طَفِقوا يَخْرُجونَ واحِدًا فواحدًا، ابْتِداءً منَ الشُّيوخ؛ وبَقِيَ هُوَ وحْدَهُ، والمَرأَةُ قائمةٌ في الوَسَط. فانْتَصبَ يَسوعُ، وقالَ لها: "يا امْرأَة، أَينَ هُمْ؟ أَلَمْ يحكُمْ علَيكِ أَحَد؟" قالَتْ: "لا أَحَدَ، يا سَيِّدي". فقالَ يَسوع: "ولا أَنا أَحكُمُ عَلَيكِ. إذْهَبي، ولا تَعودي الى الخَطيئةِ من بَعد"».[٨٤]

يُدهِشُني الأب چوسَّاني في تناوله لهذه القصة الإنجيلية في حوار في كتاب «جاذبية يسوع» الذي أعادت نشره حديثاً دار النشر (بور-ريتسولي): «إذا ضُبطت امرأة متلبسة بالزنا كانوا يرجمونها بالحجارة. ولم يكن هناك شيء يمكن القيام به، فقد كانت تُطبَّقْ شريعة موسى: إذ كانوا يرجمونها. فكّروا في تلك المرأة في الإنجيل، في الحالة النفسية التي كانت فيها. وهذا الرجل، الذي ينحني أمامها ويكتب على الأرض، ثم يقف ويقول: "نعم، إن كانت شريعة موسى كما تقولون أنها تستوجب القتل بالرجم فاقتلوها وليبدأ برميها بأول حجر من كان منكم بلا خطيئة": لا بد أن ذهولاً عاماً قد ساد في تلك اللحظة، لأنه نوع من قراءة الأشياء ونوع من تعريف الواجبات ونوع من تحديد المفاهيم التي لا نعرفها على الإطلاق. إنه أمر أشبه بظهور أعظم لحظات الموسيقى بلا سبب واضح».[٨٥]

يصف الأب چوسَّاني في كتابه «هل يمكن العيش هكذا؟» حادثة موت لعازر ويشير إلى أن يسوع بكى كاشفاً العلاقة الوثيقة التي كانت تربطه بصديقه: «عندما علم أن أحد أصدقائه، لعازر، قد مات، "بكى"، وكان لا يزال على مسافة ثلاثة أيام، وهي رحلة طويلة. وبمجرد أن علم بموته بكى. لدرجة أن اليهود الذين كانوا قريبين منه قالوا فيما بعد: "هو الذي شفى المولود أعمى لم يستطع أن يمنع صديقه من الموت؟". يا لها من صداقة حميمة».[٨٦]

إن رحمة المسيح هي رحمة نشعر بأنها تتوافق مع ذواتنا، إذ أنها توقظ فينا الرغبة في هذه المحبة، حتى لو قاومها أي منا باعتبارها من الأشياء المستحيلة، أو كوهم. حنان بلا

---

[٨٣] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره، ص ٣٣٠ - ٣٣١
[٨٤] الأب لويجي چوساني، «في أصل الزعم المسيحي»، مرجع سبق ذكره، ص ٦١
[٨٥] الأب لويجي چوساني، «جاذبية يسوع»، بور، ميلانو ٢٠٢٥، ص ٦٧
[٨٦] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره، ص ٣٣١ - ٣٣٢

حدود. دعونا نتذكر كيف يروي لنا قصة زكا العشار: «كان هناك رئيس للمافيا في بلدة كبيرة، يقال لها الآن: أريحا. وكان رئيس المافيا، كما قلت، كبير جُباة الضرائب، باع ولاءه للرومان. سمع بوجود يسوع في البلدة، لأن الجميع كانوا يتحدثون عنه هناك. فمرَّ من بين الجموع وتسلَّق شجرة جميز، وهي شجرة ليست عالية جدًّا، لكي يتمكن من رؤيته وهو يمرُّ من أمامه، لأنه كان قصير القامة. واقترب الجمع، ويسوع يتكلم، ثم يمر يسوع من أمامه، ثم يتوقف ويقول: ''يا زكا، أنا أُقَّدِرَكْ، سأحُلُّ ضيفاً عليك في بيتك. انزل، لأني قادم إلى بيتك''. لا أدري ما كان مصير زكا بعد ذلك في حياته، فقد يكون قد ارتكب ما هو أسوأ مما سبق، لكن في حياته، الشيء الذي استقر في أعماق روحه، والذي التف حوله قلبه، في الرجاء والألم، في التوبة والتكفير عن خطاياه، كان ذكرى تلك اللحظة، اللحظة التي نظر فيها ذلك الرجل إليه وناداه باسمه: ''يا زكا''. لكن هل حاولنا أن نفكر في أن هذا يحدث لكل واحد منا، ونحن غارقون في تشتتنا لدرجة أننا لا ندركه؟».[٨٧]

كما نظر يسوع إلى زكا، وكما نظر إلى مريم المجدلية، وكما نظر إلى المولود أعمى، والمشلول، وأرملة نايين. في عام ٢٠٠٢، وخلال مداخلته عبر الفيديو في ختام الرياضة الروحية للأخوية، ذكَّرنا الأب چوسَّاني بذلك قائلاً:

[عرض الڤيديو]

في ذلك المساء، تم مقاطعة يسوع وإيقافه وهو في طريقه إلى القرية التي كان متجهًا إليها، حيث كان هناك بكاء وعويل عالي الصوت لامرأة تصرخ صرخة ألم أدمت قلوب جميع الحاضرين، ولكنها أدمت أولاً قلب المسيح.

«يا امرأة، لا تبكي!» التي لم يرها قط ولم يعرفها من قبل. «يا امرأة، لا تبكي!» ما هي المساندة التي يمكن أن تحصل عليها تلك المرأة التي استمعت إلى الكلمة التي قالها لها يسوع؟

«يا امرأة، لا تبكي!»: فعندما أعود إلى المنزل وعندما أركب الترام وعندما تصعد إلى القطار وعندما ترى طابور السيارات في الشوارع وعندما تفكر في كل مزيج الأشياء التي تهم حياة الملايين والملايين ومئات الملايين من البشر ... ما مدى أهمية النظرة التي ألقاها طفل أو رجل عظيم على ذلك الرجل الذي أتى على رأس مجموعة صغيرة من الأصدقاء ولم يرى تلك المرأة قط، لكنه توقف عندما وصل إليه دوي صدى البكاء! «يا امرأة، لا تبكي!»، وكأن لم يعرفها أو يتعرف عليها أحد بطريقة قوية وشاملة وحاسمة أكثر منه!

[٨٧] الأب لويچي چوساني، «كيف نصبح مسيحيين»، ماريبتي ١٨٢٠، چنوڤا-ميلانو ٢٠٠٧، ص ٢٦

«يا امرأة، لا تبكي!» عندما نرى – كما أخبرتكم من قبل – أن حركة العالم برمتها، التي في نهرها، وفي روافدها، يجعل جميع الناس أنفسهم حاضرين للحياة، ويجعلون الحياة حاضرة لهم، وعدم معرفة النهاية ليس شيئاً آخر سوى عدم المعرفة بكيفية الوصول إلى هذا الأمر الجديد الذي يؤدي إلى اكتشاف والالتقاء بإنسان لم يراه مطلقاً من قبل والذي يقف أمام ألم المرأة التي يراها للمرة الأولى ويقول لها: «يا امرأة، لا تبكي!». «يا امرأة، لا تبكي!»

«يا امرأة، لا تبكي!»: هذا هو القلب الذي نضع به أنفسنا أمام نظرات وأحزان وآلام كل الناس الذين نتعامل معهم في الطريق أو في رحلتنا وفي أسفارنا.

«يا امرأة، لا تبكي!» يا له من شيء لا يمكن تصوره أن الله – «الله»، الذي يصنع العالم كله في هذه اللحظة –وعند رؤيته وسماعه للانسان، يمكنه أن يقول: «يا انسان، لا تبكي!» ، «لا تبكي!» لأنني لم أخلقك من أجل الموت بل من أجل الحياة! لقد أتيت بك إلى العالم ووضعتك في صحبة رائعة من الناس!».

يا رجل، يا امرأة، يا فتى، يا فتاة ، أنت، أنتم، لا تبكون! لا تبكون! فهناك نظرة وقلب يخترقكم حتى نخاع عظامكم ويحبكم حتى في مصيركم، فهما نظرة وقلب لا يستطيع أحد إبعادكم عنهما، ولا يستطيع أحد أن يجعلهما غير قادرين على قول ما يفكرا فيه وما يشعرا به ولا أحد يستطيع أن يجعلهما عاجزين!». [٨٨]

إن محبة الله والمسيح للإنسان بلا حدود فهي فيض من المشاعر، إنها «عطاء لذات تنبض بالحياة وتهتز وتتحقق كإحساس عميق، في واقع من جيشان المشاعر: إنها تجيش بالمشاعر». [٨٩]

هنا مقطع آخر من الإنجيل علّق عليه الأب چوسَّاني: «وفيما كان على وشك أن يُقبض عليه [...] كان هناك في أورشليم، في عيد الفصح، في الهيكل، جماعة من الوثنيين الذين صعدوا ليتفرجوا. ''وَكَانَ بَيْنَ ٱلَّذِينَ صَعَدُوا لِيَسْجُدُوا فِي ٱلْعِيدِ أَيْضاً بَعْضُ ٱلْيُونَانِيِّينَ ٱلْوَثَنِيِّينَ الذين اقتربوا من فيلبس الذي كان من بيت صيدا الجليل [...]، وسألوه: ''يا سيد [...] نريد أن نرى يسوع'' [...]. فَذَهَبَ فِيلُبُّسُ وَأَخْبَرَ أَنْدَرَاوُسَ [آخر لم يعرف ماذا يفعل]، ثُمَّ ذَهَبَ أَنْدَرَاوُسُ وَفِيلُبُّسُ مَعًا لِيُخْبِرَا يَسُوعَ. فَأَجَابَ يَسُوعُ: ''قَدْ جَاءَتِ السَّاعَةُ لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ [في المرة الأولى التي جاء من أجلها – العالم كله، الواقع الوثني للعالم، الواقع غير اليهودي البحت للعالم – يريد أن يراه]. الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كَانَتْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ الَّتِي تَقَعُ فِي الأَرْضِ لاَ تَمُوتُ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا، وَإِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ [يجب أن نموت من أجل مصير الإنسان ومن أجل خير الإنسان]. مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يَفْقِدُهَا [من يتمسك بنفسه يفقدها] وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ [من يبغض نفسه يبذلها: البغض لفظة

---

[٨٨] الأب لويجي چوساني، «بذل الذات من أجل آخر»، بور، ميلانو ٢٠٢١، الصفحات ٢٠٥ – ٢٠٦

[٨٩] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره، ص ٣٣٢

عبرية لا تعني ما تعنيه بالنسبة لنا] في هذا العالم سيحتفظ بها للحياة الأبدية. . إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَنِي فَلْيَتْبَعْنِي، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا فَهُنَاكَ يَكُونُ عَبْدِي أَيْضًا. فَيُكْرَمُ كَمَا يُكْرِمُنِي الآبُ. وَالآنَ [فِي هَذَا الْوَقْتِ] نَفْسِي مُضْطَرِبَةٌ [نَفْسُ الإِنْسَانِ مُضْطَرِبَةٌ خَائِفَةٌ، عَلِمَتْ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَهُ] فَمَاذَا أَقُولُ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ قَدْ جِئْتُ لِهَذِهِ السَّاعَةِ [إِنْ كُنْتُ قَدْ جِئْتُ لأَمُوتَ! فَنَفْسِي مُضْطَرِبَةٌ، وَلَكِنْ مَاذَا أَقُولُ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ قَدْ جِئْتُ لأَمُوتَ!"]". إذن هنا بيت القصيد: لقد تأثّر الله من عدمنا. ليس ذلك فقط: « فقد تأثّر الله بخيانتنا وبفقرنا الفظّ والغافل والغادر وبحقارتنا» – تلك الحقارة التي جعلنا الأب چوسَّاني نتأمل فيها، بل وجعلنا نتألم قليلاً من النصوص التي كنا نقرأها بالأمس – "لقد تأثّر الله بحقارتنا، أكثر من تأثّره بعدَمنا. ''أَشْفَقْتُ عَلَى عَدَمِكُمْ وأَشْفَقْتُ عَلَى بُغْضِكُمْ لِي. وتأثرت لأنكم تكرهونني''، مثل أب وأم يبكيان من شدة التأثر على كراهية ابنهما لهما».[٩٠]

تَنْطَبِعُ في أعيننا صور دوتشو [Duccio] التي رأيناها عند دخولنا إلى الصالون: بينما يسوع يُساق أمام الكهنة، هناك بطرس الذي يقول له أحدهم ثلاث مرات: «حتى أنت...»؛ في الخلفية نرى أيضاً الديك يصيح ثلاث مرات معلناً خيانته. والآن، بالنسبة لبطرس، ستكون الذروة في ذلك الصباح على البحيرة، بعد القيامة: «ثم، وهم مضطجعون على الأرض، يأكلون. فَيَلْتَفِتُ يَسُوعُ وَيَجِدُ بِقُرْبِهِ سِمْعَانَ بْنَ يُوحَنَّا. لا يقول له: «يا سمعان هل ستظل تخونني»، ''يا سمعان هل ستظل تجربني كما قلت لك: ''اذهب بعيداً عني يا إبليس''، ''يا سمعان هل ستظل تخجل مني كما كنت أمام عبد بيلاطس ذاك''، ''يا سمعان هل ستظل تفعل كل الخطايا التي فعلتها وكل الكوارث التي فعلتها حتى الآن؟'' لا يقول له شيئاً من هذا. فنظر إليه وقال: ''يا سمعان، هل تحبني؟''، قال سمعان في المرة الثالثة: ''يا رب أنت تعلم يا رب أنك تعلم أني أحبك''. يشير هذا الجواب إلى الاعتراف بالانتماء: ''يا رب، أنا أنتمي إليك''. ''نعم، يا رب، أنا أنتمي إليك، أنا لك، أنا لك، أنا لك، أنا خاطئ، أنا خاطئ، أنا لك، أنا لك، أنا خاطئ، أنا لك، أنا لك''».[٩١]

يعلق الأب چوسَّاني في كتاب (جاذبية يسوع)، بأن بطرس « كان كالطفل أمامه»، كان طفل أمام حب لا حدود له: «لو كان قد فعل مائة جريمة قتل، لم يكن القديس بطرس يستطيع أن يجيب إلا بـ "نعم"، لثلاث سنوات مع مائة جريمة قتل، كان يجب أن يبكي بمرارة مائة وثلاث مرات، لكنه لم يكن يستطيع أن يجيب إلا بـ «نعم».[٩٢] إن محبة المسيح «المفرطة» هي العاطفة العظيمة التي تقضي على الدفاعات، كما حدث لبطرس: «ما الذي يدفعه ليمنحني ذاته ويخلقني ويهبني الوجود الذي هو في الحقيقة كيانه هو؟ وما الذي يدفعه ليصبح إنساناً، فيقدم ذاته لي ليعيد لي براءتي من جديد [...] ثم يموت من أجلي (مع أنه لم يكن هناك أي حاجة لذلك؛ فبمجرد لمسة بسيطة بإصبعي الإبهام

---

٩٠ نفس المرجع السابق الذكر، الصفحات ٣٣٢ – ٣٣٣

٩١ الأب لويجي چوساني، «كيف نصبح مسيحيين»، مرجع سبق ذكره، ٣٤

٩٢ الأب لويجي چوساني، «جاذبية يسوع»، مرجع سبق ذكره، الصفحات ٦٥ – ٦٦

والوسطى كانت كافية ليُتِم الأب كل شيء بقوته)؟ لماذا يتكبد الموت من أجلي؟ لماذا كل هذا العطاء المطلق للذات، الذي يفوق كل تصور ممكن؟».[٩٣]

إن الرب يتأثر بعدمنا لا بدافع عاطفي بلا عقل، بل بسبب الحُكْم الذي يحمله داخله هذا التأثر: «فهذا التأثر وهذه العاطفة تحملان معها حكماً وخفقاناً للقلب. إنه حُكْمٌ، لذلك فهو قيمة عقلانية – دعنا نقول – ليس لأنه يمكن رده واختزاله إلى نطاق تستوعبه عقولنا فحسب، بل عقلاني بما يمنحه العقل من معنى، وبما يحمله في جوهره من سبب ومبرر خاص به».[٩٤]

إنه مثل حكم الأب أو الأم اللذين يريدان خلاص ابنهما. إنه التوق إلى الخلاص، إلى مصير الآخر: « فخفقان قلب [يسوع] هي الشفقة على عدمك، ولكن الدافع هو أن تشاركه في الوجود».[٩٥]

دعونا نلخص تطور هذه الأفكار في كلمات الأب چوسَّاني: "لقد أعطينا تعريف المحبة ووصفنا العاملين الرئيسيين اللذين تتكون منهما. إنها عطاء للذات (التكريس وبذل الذات) حتى الموت: فموت المسيح يكشف لنا ويُظهِرُ لنا عن كمال التفاني الذي يكرس به سر الله نفسه لخلاصنا. إنه تأثر وجداني يجعل عطاء الذات هذا، التي يقدمه السرّ، والذي يحققه المسيحإنسانيًا بشكل مفاجئ وغير مفهوم. وحتى لو كان غير مفهوم، فإنه يُشعرك بكونه إنسانياً على الفور».[٩٦]

أود أن أسجل ملاحظة: «الله الذي يتأثر!».[٩٧] يطرح المزمور الثامن السؤال الكبير على الله: «أرى السَّماواتِ صُنْعَ أصابِعِكَ والقمرَ والنُّجومَ التي كوَّنْتَها، فأقولُ: ما الإنسانُ حتى تذكُرَهُ؟ اَبنُ آدمَ حتى تَفتَقِدَهُ؟».[٩٨] هل يمكن أن نعيش كبشر دون أن يلح علينا كل يوم طرح هذا السؤال على السر (الله)؟ لماذا تعتني بي؟ لماذا تعتني بنا؟ إن إدراكك بأن «أحد ما» يرغب فيك ويحبك. لماذا؟ لأن يسوع كشف لنا حميمية الله.

كل ما في الله هو محبة، وشركة، ورفقة لا نهائية؛ فكل أقنوم من الأقانيم الإلهية موجود لأجل الآخر ويهب ذاته للآخر. إن الوجود في سر الثالوث يتطابق مع «الوجود لأجل الآخر»، بالعطاء الكلي والأمين للذات، وببذل الحياة (وهذا يعني الخلق من الآب وأيضاً تقديم الذات ذبيحة من الابن ويعني كذلك إعادة وبث الحياة من الروح القدس). من هذه المحبة يتدفق العالم وكل إنسان، كعطية كاملة، والجانب الأكثر قيمة في هذه العطية هو خلقنا أحراراً! فقد قال الأب چوسَّاني: «إن الله يرحمنا ويشفق علينا لأننا

---

[٩٣] الأب لويچي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، الصفحات ٣٢٩ – ٣٣٠
[٩٤] المرجع السابق ذكره، ص ٣٣٥
[٩٥] المرجع السابق، ص ٣٣٦
[٩٦] نفس المرجع السابق
[٩٧] المرجع السابق، ص ٣٣٢
[٩٨] مز ٨: ٤ – ٥

نُبغِضُه». إنها محبة أمينة في جوهرها وأمينة لمصير كل إنسان، وقد تجلت هذه المحبة عندما وهب يسوع المسيح ذاته لأجل خلاصنا ولأجلي ولأجلك.

الأخلاق هي الاقتداء بمحبة الله

هناك مقطع هام يتعلق بانعكاس هذه المحبة الفياضة علينا. المحبة، الهبة الخالصة، وحميمية الله التي يكشفها لنا المسيح، «التواصل الذاتي الحلو، الذي يهب الوجود لكل شيء، بتأثر وجداني»،[٩٩] وتدفعنا هذه المحبة إلى الرغبة في السلوك مثله، معترفين في يسوع المسيح بالصورة الحقيقية للانسان الذي نود أن نكونه. ففيه يتم الواجب العظيم: وهو أن نكون أنفسنا. ويقول القديس يوحنا: «وَمَادَامَ اللهُ قَدْ أَحَبَّنَا هَذِهِ الْمَحَبَّةَ الْعَظِيمَةَ، أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، فَعَلَيْنَا نَحْنُ أَيْضاً أَنْ نُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً.[...] وَلكِنْ، حِينَ نُحِبُّ بَعْضُنَا بَعْضاً، نُبَيِّنُ أَنَّ اللهَ يَحْيَا فِي دَاخِلِنَا، وَأَنَّ مَحَبَّتَهُ قَدِ اكْتَمَلَتْ فِي دَاخِلِنَا».[١٠٠]

إذن السلوك الأخلاقي هو سعيٌ إلى الاقتداء بالمسيح واتِّباعه والتماثل والتماهي مع عطائه الكامل: «فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ، كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ هُوَ كَامِلٌ!».[١٠١] مَن يقدر على ذلك؟ كوصيّة، يبدو الأمر مستحيلاً، كما يقول الأب چوسّاني، لكنّ الأمر يتّضح عندما يقول يسوع في إنجيل لوقا: «فَكُونُوا أَنْتُمْ رُحَمَاءَ، كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ رَحِيمٌ».[١٠٢] فالكمال الذي يدعونا إليه هو الرحمة، أي الاقتداء بتأثّر يسوع «أمام حاجة الإنسان إلى: السعادة والوجود والمصير».[١٠٣]

يكتب القديس بولس: «لَوْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِلُغَاتِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلَيْسَ عِنْدِي مَحَبَّةٌ، لَمَا كُنْتُ إِلاَّ نُحَاساً يَطِنُّ وَصَنْجاً يَرِنُّ! وَلَوْ كَانَتْ لِي مَوْهِبَةُ النُّبُوءَةِ، وَكُنْتُ عَالِماً بِجَمِيعِ الأَسْرَارِ وَالْعِلْمِ كُلِّهِ، وَكَانَ عِنْدِي الإِيمَانُ كُلُّهُ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئاً!».[١٠٤]

ويتساءل الأب چوسّاني في كتابه «هل يمكن العيش هكذا؟»: «وما الذي يفيدك إذن؟ ما هذه الأخلاق التي تجعل حتى التضحية بجسدك حرقاً بالنار من أجل فكرة لا قيمة لها، وأن تكون ''أينشتاين'' لا يجدي نفعاً، وأن تكون ''غاندي'' لا يجدي نفعاً؟ ما هذه المحبة التي بدونها لا نساوي شيئاً؟ إن الموضوع الأول لمحبة الانسان هو يسوع المسيح.[١٠٥]

بمحبتنا للمسيح، يمكن أن تترسخ فينا مجانية عطاء ذاته، ولمحبته التي تتأثر قلبياً بمصيري وبمصير كل انسان، ولعنايته بكل ما نحتاجه من أجل خلاصنا. «أن تحب المسيح، وأن تحب فيه إخوتك، أي وفقاً لطريقته في الحب؛ بتفاني الذات (وعطاء الذات)

---

[٩٩] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣٧
[١٠٠] ١ يو ٤: ١١ – ١٢
[١٠١] مت ٥: ٤٨
[١٠٢] لو ٦: ٣٦
[١٠٣] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣٨
[١٠٤] ١ كور ١٣: ١ – ٢
[١٠٥] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣٩

وبالتعاطف مع الآخرين [«إنهن يحببن المسيح...»]. باختصار، الأنا هي التي تؤكد وجود الأنت،وهي التي تتفانى في سبيل تأكيد الأنت وهي التي تموت من أجل الأنت. لقد وُضِعَ حد للدراما.»[١٠٦] هل وُضِعَ حد للدراما حقاً؟ ربما الدراما في بدايتها، لكن حدودها واضحة. وتصورنا للمحبة على أنها مجرد القيام ببعض أعمال الخير هو أمر ضئيل مقارنة بهذا المنظور العظيم.

ا) شريعة ذاتي هي الحب

إن المحبة التي يُظْهِرُها المسيح بعطاء الذات المفعم بالتأثر الوجداني، هي شريعة ''الأنا''؛ «إنها الدينامية الحقيقية للأنا، المُستمدة مباشرة من دينامية الله، التي هي الحب، أي أن تبذل ذاتك من أجل الآخر بتأثر وجداني».[١٠٧] ويوضح الأب چوسَّاني في كتابه ''هل يمكن العيش هكذا؟'' أن عطاء الذات هذا، إذا كان مثل عطاء المسيح، لابد أن يكون «حتى النهاية»، عطاء بلا حدود. فهو عطاء شامل كالزخم. ولنتذكر مقولة بيجي: «أُحِبُ أن يعطوا ذواتهم [...] / وأن يُحِبُوا في نهاية الأمر، كما يقول الله، لا بِحُرية فحسب، بل بمجانية تامة [...] أعطِ بلا مقابل. وإلا فهل هو عطاء؟ / أحبب بلا مقابل. وإلا فهل هو حب؟».[١٠٨]

هذا الحب ليس مجرد فكرة مجردة، بل يتطلب تحرك ملموس تجاه الآخر، تحرك لنجدته وقت الشدة. حبنا للمسيح، ورغبتنا هذه في التجاوب مع محبته، تتحول إلى اهتمام بكل إنسان، حباً في مصير كل انسان، الذي هو المسيح نفسه؛ ليس هناك انقسام (تذكروا قصة السامري الصالح: «من هو قريبي؟»[١٠٩]).

في النهاية، هذا الحب العميق والكامل هو تحرك ملموس لا يقتصر على التلبية الفورية لحاجات الآخر، بل يتجاوز ذلك ليسعى إلى تحقيق الوجود الكامل للآخر، لخلاصه وفدائه: «إنه الشعور الوجداني العميق تجاه الاحتياج الجوهري للإنسان: وهو ''من أجل ماذا'' يُولَد الإنسان؟ سيكون من الظلم أن يُولد الإنسان إن لم يكن هناك مصير للسعادة ينتظره».[١١٠] وكما قرأنا مراراً في كتيب ''معنى عمل المحبة''، في تلك الفقرة المؤثرة: «تكمن الحقيقة في اكتشافنا أنه على الرغم من حبنا لهم، إلا أننا لا نملك القدرة على إسعادهم؛ وحتى المجتمع الأكثر كمالاً، أو النظام القانوني الأكثر رسوخاً، أو الثروة الفائقة، أو الصحة المثالية، أو الجمال الخالص، أو الحضارة الراقية، لن تستطيع أبداً أن تمنحهم السعادة. فالسعادة الحقيقية تأتي من «آخر». من هو مصدر كل شيء؟ من أوجد كل شيء؟ إنه الله. ولذلك، لم يعد يسوع هو من يبشّرني بأصدق الكلمات، أو من يوضح لي جوهر وجودي، أو نور لعقلي فقط: بل أكتشف أن المسيح هو المعنى الحقيقي لحياتي. كم هي جميلة ومؤثرة

---

[١٠٦] المرجع السابق، ص ٣٤٠
[١٠٧] المرجع السابق، ص ٣٤٤
[١٠٨] شارل بيجي، «سر القديسين الأبرياء»، وفي كتابه «الأسرار»، مرجع سابق، ص ٣٢٧
[١٠٩] لو ١٠: ٢٥ – ٣٧
[١١٠] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣٨

شهادة من عاش هذه الخبرة: «أنا أواصل القيام بأعمال المحبة لأن كل آلامي وآلامهم لها معنى». برجاؤنا في المسيح يصبح كل شيء له معنى: المسيح نفسه. وهذا ما أكتشفه في النهاية حيث أذهب للقيام «بأعمال المحبة»، تحديداً من خلال قصور حبي البشري: إنها الخبرة التي يتعمق فيها الفهم ويتحول إلى حكمة أصيلة وثقافة حقيقية».[١١١]

أود أن أتحدث عن هذا الفعل النبيل الذي يعلمنا باستمرار الحب الحقيقي: "عمل المحبة"". إنه فعل تربوي يدعو كل من يمارسه إلى إدراك أعمق بأننا مدعوون لتقديم حياتنا بأكملها - بكل ما فيها! - في سبيل المحبة. إذا كان أحدهم يرى عمل المحبة (أعمال المحبة) مجرد ساعتين في الشهر، يقدم فيهما شيئاً للآخرين ليشعر بالرضا تجاه مفهوم "المحبة"، فقد حان الوقت ليعيد النظر في هذا الأمر. كون العديد منا لا يشاركون يوحي بأننا نشعر بأننا لم نعد بحاجة لتعلم المحبة، في حين أن الاقتداء المسيح هي مسيرة تستمر مدى الحياة؛ والقيام بذلك ببساطة يُلين من جفاف قلوبنا.

أروي حواراً دار قبل بضع سنوات مع إنجريد [Ingrid] ، من جواتيمالا، وكانت حينها العضوة الوحيدة من الحركة في ذلك البلد في أمريكا الوسطى. تقول لي إنجريد: «أود البدء في القيام بأعمال المحبة»، وأنا، الأحمق: «حسناً، هذا رائع!». ثم تقول لي، ببساطة ذكية جداً: «لا، لم تفهم، أريد أن أبدأ عمل المحبة ليس بالطريقة التي أتخيلها أنا، بل باتباع الطريقة التي تقترحها الحركة للعمل الخيري». يا له من مشهد! عندما نسمع في جماعاتنا من يقول: «لكنني أقوم بأعمال المحبة مع أطفالي في المنزل»، و «أنا أزور جدتي»، خالطين بين عمل المحبة وأي عمل محبة صحيح، ربما لا يكون البعد التربوي لفعل عمل المحبة واضحاً تماماً. إننا مدعوون لتقديم حياتنا بأكملها - ليس ساعة أو ساعتين فقط - في عطاء مجاني من أجل مصير الآخر، وأن نفعل ذلك محبة للمسيح. وإن بادرة المحبة، التي لا أحددها أنا ولا أخترعها، بل يقترحها عليّ الحدث، موضحاً لي طريقة محددة لتحقيقها، هي تربية نحن في حاجة إليها دائماً. وهذا ينطبق أيضاً على مدرسة الجماعة والصندوق المشترك.

باختصار: «الإنسان موجود ليؤكد آخر اسمه الله. هذه هي الحقيقة التي تحرك القلب، تحركه وتدفعه للعمل. الحب الحقيقي، أي التحقق الحقيقي لشريعة الإنسان، التي هي غاية الحياة، هو تأكيد الوجود، هو تأكيد الآخر، هو "تأكيدك أنت يا الله". وبالمثل، فإن تكريس الذات لأخ، أو لإنسان آخر، والوجود من أجل آخر، والعمل من أجل آخر، والتأثر الوجداني من أجل آخر، هو حب حقيقي لأنه يرغب في أن يعرف الآخر الحقيقة ويعيش حقيقة وجوده بشكل كامل؛ أي أن الحب الحقيقي هو النظر إلى الآخر ومعاملته

[١١١] الأب لويجي چوساني، «معنى أعمال المحبة (عمل المحبة)»، مرجع سبق ذكره، الصفحات ١٠ - ١١

برغبة في أن يتحقق مصيره، وأن يتم. فبدون حب لمصير الآخر لا يوجد حب، وبدون حب لمصير الآخر لا يوجد حب للآخر».[١١٢]

ب) المحبة تجسيد لشهادة الحياة

عندما نتبع يسوع، تتكون فينا عقلية جديدة ونمط حياة مختلف. بالطبع، لا يمكننا أن نقتدي تماماً بالمسيح، لكن حتى ألم أخطائنا يُعتبر خطوة في طريقنا نحو أن نكون مثله: «فتطبيق شريعة المحبة، هذا الاقتداء الأسمى بالله، سيؤدي عاجلاً أم آجلاً إلى نوع مختلف من الحياة. العيش بأسلوب مختلف لا يعني الكمال؛ فقد يرتكب الإنسان آلاف الأخطاء، ورغم ذلك تتغير حياته. والأهم من ذلك، أن الأخطاء والزلات تجلب معها حزناً عميقاً. فكل فعل يقوم به يحمل بصمة التغيير — وأقسى مثال على ذلك هو الحزن الناتج عن حب لم يُعاش بشكل كامل. ولا يعرف هذا الحزن أحد في العالم، إلا من يعي التعاليم التي جاء بها يسوع والرسل».[١١٣]

يصف الأب چوسَّاني عناصر أساسية لهذه العلاقة المتجددة، ولهذه الطريقة المختلفة في الحياة التي تبدأ بالتَّشَكُّل في داخلنا: أولاً: تقبُّل الآخر كما هو، لمجرد أنه موجود، بدون شروط أو مصالح أو توقعات مسبقة. ثانياً: مشاركة احتياجات بعضنا البعض. فالحاجة هي البوصلة التي تقود الإنسان نحو مصيره، ومن خلالها يتعلم أن هناك أشياءً تنقصه. ومشاركة حاجة الآخر تعني أن نفاجأ بحضور مُحِب يهتم بمصيره كاهتمامه بمصيرنا. ثالثاً: القدرة على الغفران، وتعني إعادة فتح القلب للآخر. فالإساءة قد تُبعده، والغفران يُعيد له مكانه وحريته. رابعاً: الارتباط بالآخرين ومحبتهم: ويتجسد ذلك في التفاني (الاحترام) والوفاء (استمرارية الاحترام)».[١١٤]

يشير الأب چوسَّاني إلى تحولين جوهريين للخليقة الجديدة، حتى يستطيع أن يقول ما قاله القديس بولس: «لاَ أَحْيَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ».[١١٥] «في البداية، يحدث تغيير في طريقة التفكير. فمن يطبق هذه المبادئ في حياته اليومية، سواء في عمله الروتيني، أو في دوره كمعلم، أو كوالد، يُظهِر عقلية مختلفة عن الآخرين. [...] والثمرة الأساسية لهذا التغيير في العقلية هي التضحية بالذات؛ فإذا كان الحب هو الشريعة، فإن التضحية بالحياة هي ذروة هذا الحب. وليس تلك العقلية التي تهيمن على الغالبية العظمى من البشر، القائمة على ربح المال وادخاره وعلى اللذة والنجاح».[١١٦]

تحضُرُني الآن مسرحية ''البشارة لمريم'' للكاتب بول كلوديل [Paul Claudel]، والتي تم اختيارها ''كتاب الشهر'' شهر إبريل الحالي. وقد علَّق عليها الأب چوسَّاني قائلاً: «إن

---

[١١٢] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، ص ٣٤٨
[١١٣] المرجع السابق، الصفحات ٣٤٩ – ٣٥٠
[١١٤] المرجع السابق، ص ٣٥٠
[١١٥] غلا ٢: ٢٠
[١١٦] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، الصفحات ٣٥٠ – ٣٥١

حركتنا قامت على نص هذه المسرحية»[١١٧]. توثق قصة المسرحية بشكل مؤثر الحياة ككل، بوصفها عطاءً ذاتياً مفعماً بالشغف، وحباً للإنسان، من خلال حب المسيح. وتحتوي صفحاتها على القدوة لكل شيء: «إن موضوعهم هو الحب، بمعنى فهم الوجود الذاتي كجزء من المخطط الشامل. والمخطط له اسم، إنه إنسان، المسيح، الذي يجب أن نصبح جزءاً منه، عبر الألم الحارق، والدافع الاستثنائي للسخاء، وطبيعية الطاعة اليومية. أما البديل لذلك فهو التعاسة».[١١٨]

لنستمع إلى كلمات آنا ڤيركور [Anna Vercors] الشهيرة والمؤثرة في الفصل الأخير: «هل تظن أن هدف الحياة هو أن نعيش؟ هل تظن أن أولاد الله سيبقون ثابتين بأقدام راسخة على هذه الأرض التعيسة؟ ليس الحياة، بل الموت، وليس تجنب الصليب بل الصعود إليه، وأن نعطي بفرح ما نملك. هنا يكمن الفرح، والحرية، والنعمة، والشباب الأبدي! [...] ما قيمة العالم مقارنة بالحياة؟ وما قيمة الحياة إن لم نبذُلها؟ ولماذا نُعذِب أنفسنا عندما تكون الطاعة بسيطة جداً؟»[١١٩]

لعل هذا الفرح وهذه الحرية وهذه النعمة وهذا الشباب الأبدي، يصبح خبرتنا أكثر فأكثر (كما هو بالفعل، كبداية) في طاعة الاتباع ودعوة المسيح ليُغَيِّرنا وفي الحب الفقير والمخلص لهذا التاريخ.

---

[١١٧] الأب لويجي چوساني، «قراءاتي»، بور، ميلانو ٢٠٠٨، ص ١٠١
[١١٨] المرجع السابق، ص ١٠
[١١٩] پول كلوديل، «البشارة لمريم»، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٩

بعد ظهر السبت ١٢ إبريل ٢٠٢٥

موسيقى أنطونين دڤوراك
خماسي على البيانو بمقام لاَ ماچور، مصنف ٨١
بيانو، زڤياتوسلاڤ ريختر – رباعي بورودين
سلسلة «الروح اللطيف» رقم ٣٩، (ديكا) يونيفيرسال

التأمل الثاني
مونسينيور چوڤاني باكوزي

«نحب ما لا يدوم فقط باسم ما يمكن أن يدوم»[١٢٠]
التضحية والبتولية

«الامتزاج» معه

«لِذَلِكَ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، نَظَراً لِمَرَاحِمِ اللهِ، أَنْ تُقَدِّمُوا لَهُ أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً مُقَدَّسَةً مَقْبُولَةً عِنْدَهُ، وَهِيَ عِبَادَتُكُمْ بِعَقْلٍ. وَلاَ تَتَكَيَّفُوا مَعَ هَذَا الْعَالَمِ، بَلْ تَغَيَّرُوا بِتَجْدِيدِ الذِّهْنِ، لِتُمَيِّزُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ الصَّالِحَةُ الْمَقْبُولَةُ الْكَامِلَةُ.»[١٢١]

أبدأ بهذه الكلمات من رسالة القديس بولس إلى أهل رومية. مرات كثيرة سمعناها من الأب چوسَّاني وقد تلقيناها ورأيناها مُتحقِقَة فيه. وفيه وفي هؤلاء الذين أبهرونا وقادونا إلى الحركة، ورأينا أناساً بوجه آخر، بمعيار آخر للعيش، والوجه الذي هو كالتعبير الأكثر ظهوراً، بوعي ذاتي جديد – كم مرة حدث لنا هذا! – وأدركنا أن منبع الفكر والعمل فيهم كانت وما زال هو الامتنان للسر (الله) والتماثل مع المسيح.

[١٢٠] شارل فيرديناند رامو استشهد به الأب لويچي چوساني في «اللقاء الذي يشعل الرجاء»، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢
[١٢١] رو ١٢: ١ – ٢

لنفكر في الرسائل التي كتبها الأب چوسَّاني، وهو ما زال شاباً جداً، إلى صديقه أنچيلو مايو [Angelo Majo] . أقرأ لكم منها بعض المقتطفات: «يجب ألا يكون كل نشاطنا وفرحنا وسعادتنا وعملنا وقلقنا في الحياة سوى سعي محموم لفهم هذا الارتباط الشخصي بالحب اللامتناهي. وحزننا يكمن في عدم قدرتنا على رؤيته أو الشعور به أو لمسه».[١٢٢]

إنها رغبة الانتماء الكلي، للتماثل والتماهي معه حتى الصليب، بدافع الحب: «لقد غمرني بقناعته العذبة هذه: وهي أن المحبة تتطلب التشبه والتطابق: وهو على الصليب: والمثل الأسمى في حياتنا هي القلق، بل اللهفة، لتسلق هذا الصليب، حتى نستطيع «الامتزاج معه». إنها أصفى بهجة في الحياة، وأعظم عمل فروسي تجاهه، هو الحب اللانهائي والفريد والشخصي: وصرخ ياكوبوني [Jacopone] : ''يا يسوع، يا رجائي، أُغمُرني بحبك''».[١٢٣]

ويتابع قائلاً: «أنا وحدي أشعر - ويُبرهن على ذلك إخلاصي لأقرب الأصدقاء - أن جوهر الحياة، وكل ما نطمح إليه، وسر السعادة، هو الحب. حبٌّ بلا نهاية، حبٌّ عظيم، انحنى على كياني المتواضع، وخلق مني إنساناً، أنا الذي لا أعدو أن أكون ذرة تراب في الجسد، ولكني أمتلك عقلاً وقلباً يتوقان بشدة للحقيقة وللحب. حبٌّ لا نهائي وعظيم، قام بالمستحيل حين جعلني، أنا المخلوق المتناهي كذرة تراب، لا متناهياً مثله: ''سنكون على مثاله''. [...] أيها الصديق الحميم للّانهائي؛ أنت قد تكون ذرة تراب، لكنك بحر».[١٢٤]

لكي يتحول وجودنا كذرة محبوبة إلى بحر، لا متناهٍ في الحب مثله، هناك شرط واحد. وشرط المحبة هو التضحية. وأما الثمرة، كحياة متجددة، فهي العفة والبتولية. لنتأمل البناء المعماري الفريد والمذهل للفضائل اللاهوتية الثلاث كما يصفها في كتابه ''هل يمكن أن نعيش هكذا؟'': الفضيلة، ومفتاحها، وثمرتها الوجودية. الإيمان، والحرية، والطاعة؛ الرجاء، والتواضع، والثقة؛ المحبة، والتضحية، والعفة. «لاَ أَحْيَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ».[١٢٥] الحياة بأسرها قد سُلِّمَتْ لحب الآب. وكما استمعنا في رسالة الأب چوسَّاني إلى صديقه مايو: «يا صديق اللانهائي؛ أنت ذرة تراب، لكنك بحر».

أ) التضحية والعطاء

هناك تضحية، إذن، فهي شرط المحبة. ماذا يعني ذلك؟ إننا نقدم العديد من التضحيات، صغيرة وكبيرة، في حياتنا اليومية! تضحيات تفرضها الظروف. على سبيل المثال، الوقت الذي نقضيه في الازدحام المروري هو أيضاً تضحية. فعندما كنت في ليما، لا يمكنكم أن تتخيلوا كم كانت التضحية عظيمة في التنقل من مكان إلى آخر في المدينة؛

---

[١٢٢] الأب لويچي چوساني، «رسائل عن الايمان والصداقة إلى أنچيلو مايو»، سان پاولو، تشينيسيللو بالسامو (ميلانو) ٢٠٠٧، ص ٢٩

[١٢٣] نفس المرجع السابق، ص ٢٨

[١٢٤] المرجع السابق، الصفحات ٥١ – ٥٢

[١٢٥] غلا ٢: ٢٠

سيفهمني العديد من الأصدقاء الذين يعيشون في المدن الكبرى في أمريكا اللاتينية وحول العالم. ازدحام ميلانو وروما لا يقارن بذلك. ساعات وساعات، ويا له من ازدحام فوضوي! كان ذلك يجعل الواحد لا يرغب في التحرك على الإطلاق، حتى لاجتماعات الحركة، ولا حتى لرؤية الأحباء. أحياناً كنت أشتكي من ذلك ومن تضحيات أخرى، ولكن في تلك اللحظة كنت أنظر إلى الحافلات المكتظة بالأشخاص العائدين في وقت متأخر من العمل، بعد رحلات لا نهاية لها وتسع أو عشر ساعات عمل، ليُحضِروا الخبز إلى المنزل. حينها كنت أقول لنفسي: «اصمت، فأنت لا تفعل شيئاً مقارنة بهم؛ علاوة على ذلك، ما تفعله هو من أجل يسوع، وتريد أن تشتكي!». بالنسبة لي، كان هذا ولا يزال تعليماً عظيماً لاكتشاف أن الصعوبات اليومية يمكن أن تصبح تضحية تُقدَّم للمثل الأعلى، للمسيح. ولكن الكثير منكم يمر بهذه الخبرة كل يوم! وأريد هنا أن أذكر صديقاً لي، وهو أحد المؤمنين في رعيتي في ليما، الذي كان يخرج في الخامسة صباحاً ليصنع الطوب في فرن، ويعود في الثامنة مساءً، بعد ساعتين على الأقل في الحافلة (المكتظة بشكل لا يصدق) ذهاباً وإياباً. ومع ذلك، كان يأتي إلى الرعية كل مساء تقريباً (كان مسؤولاً عن إحدى الحركات)، ليقدم نفسه للآخرين، والفرح يملأ وجهه. اسمه بيدرو يوبانكي [Pedro Yupanqui] وهو بالنسبة لي علامة عظيمة، حتى الآن، بعد مرور الزمن و بُعدْ المسافة. فعندما يراودني الشعور بالشكوى من التضحيات التي عليَّ القيام بها، أتذكر بيدرو، وفرحه في تقديم كل شيء من أجل المسيح، ومن أجل الناس؛ وتختفي مني الرغبة في الشكوى!

ومع ذلك لا يمجد الأب چوسَّاني التضحية لذاتها، بل يوضح أن التضحية أمر بغيض، وتبدو ظالمة، فهي الجانب الأقل إنسانية. ومع ذلك، هي النقطة التي يصب فيها كل شيء، «هي نقطة التقاء كل شيء، كل شيء... فلا وجود إيمان، ولا رجاء، ولا محبة؛ ولا وجود لجمال، ولا لخير، ولا لعدل، لا وجود لشيء بدون التضحية».[١٢٦]

تتعارض التضحية في حد ذاتها مع طبيعتنا، لأننا مخلوقون من أجل السعادة، ولهذا فهي، بطريقة ما، غير مفهومة بل لا تُحتَمل، كما أن الظلم لا يُحتَمل. سيكون من السهل التوقف هنا والقول: «لا، إن التضحية لا تُناسبني، وقلبي لا يريدها». ولكن - وهنا تحديداً تظهر إمكانية أن تصبح التضحية قيمة - إذ تغيرت الأمور مع المسيح، فمنذ أن صار إنساناً مثلنا، ومنذ أن مات على الصليب، ومنذ أن «عرفنا المحبة»، محبته: «ومنذ أن قُتل ذلك الإنسان، وسُمِّر على صليب، وصرخ: ''يا أبتِ، لماذا تركتني؟'' - وهو أكثر صرخة يأس إنسانية سُمعت على وجه الأرض - ثم قال: ''اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون''، ثم صرخ: ''في يديك أستودع روحي''؛ ومنذ تلك اللحظة، ومنذ أن وُضِعَ ذلك الرجل ممدوداً على الصليب وسُمِّر، ومنذ تلك اللحظة أصبحت كلمة «تضحية» المركز،

[١٢٦] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، ص ٣٨٣

ليس لحياة ذلك الإنسان فقط، بل أصبحت مركز حياة ''كل'' إنسان، ومصير كل إنسان يتوقف على ذلك الموت».[١٢٧]

لقد أصبحت كلمة عظيمة، لأننا فهمنا من خلال تضحية المسيح بأنه لا يمكن تجنّبها، وأنها جزء من الحياة فقط، بل الأهم من ذلك، أنها يمكن أن تحمل معنى إيجابياً بطريقة سرية. لأن تضحيته على الصليب خلَّصت العالم، وبدأت التضحية تَصِيرُ قيمة تستحق العناء: مع المسيح، وبموته على الصليب. لكن، يتساءل الأب چوسَّاني بعد ذلك، كيف يمكن أن تصبح التضحية قيمة بالنسبة لي؟ «تصبح التضحية قيمة أخلاقية، أي قيمة في حياة الإنسان، عندما تصبح توافقاً، أي مسؤولية مشتركة، أي استجابة لموت المسيح، من أجل خلاص حياته وحياة البشر. وعندما تصبح قبولاً بأن الطريقة الوحيدة لبلوغ المصير، وللانتصار على الموت، هي أن نصعد نحن أيضاً على صليب المسيح: بأن نشارك في موت المسيح: ''أنت، أيها المسيح، تموت من أجلي. وأنا أتحد معك في موتك''. كيف؟ من خلال التضحيات التي تدعوني للقيام بها.»[١٢٨]

إنه تأكيد على الأولوية الحقيقية للمسيح والرغبة في التماثل معه، «والامتزاج»[١٢٩] به لاكتشاف وجهنا الحقيقي، لأن فيه يتحقق واجب الحياة: وهو تحقيق ذاتي. وتتحد تضحيتي بتضحية المسيح؛ التي تُسمى تقدمةً أو قرباناً: «إذن، حتى تضحيتي بالنهوض في الصباح، وتحمل أبي وأمي وزوجتي وزوجي وأولادي... حتى ذلك، يُصبِح خيراً».[١٣٠] وفي هذا الاتحاد بين آلامي وتضحية المسيح المُحِبَة، ومع موته، فحتى عملي الصغير يشارك في خلاص العالم: وإذا قبلت التضحية من أجل محبة المسيح، بل في محبة المسيح، تاركاً محبته تدخل فيَّ، بينما يغيرني، جاعلاً إياي أن أكون ذاتي بشكل أعمق، التي تؤثر بطريقة سرية على خير العالم.

وهذا، كما نعلم، هو معنى غفران اليوبيل الذي نعيشه: محبة المسيح، بفيضها اللامتناهي الذي يتجاوز ما كان ضرورياً لخلاصنا (لكان يكفي تحريك أي من أصابع يديه ...) والاستحقاقات، أي الخير، والمحبة الفياضة التي وحدت القديسين مع محبة يسوع ببذل ذواتهم، إنهم الكنز الروحي الذي نستقي منه في هذه السنة المقدسة.

كيف يمكن أن نقبل أن التضحية هي، كما يقول الأب چوسَّاني، «قانون دينامية الحياة»؟ بالنسبة له، في الواقع، المحبة هي القانون الأسمى للحياة من خلال بذل ذواتنا بعمق قلوبنا ولكنها تُمَارس، دينامياً، في التضحية.

---

[١٢٧] نفس المرجع السابق، الصفحات ٣٨٦ – ٣٨٧

[١٢٨] نفس المرجع السابق، الصفحات ٣٨٨ – ٣٨٩

[١٢٩] أنا لا أريد أن أعيش حياة بلا معنى: هذا هو همّي الدائم. ثم، بين صديقين حقيقيين، ما الذي يتمنّاه كل واحد؟ إنّ هدف الصداقة هو الاتحاد، أن نندمج، أن نصبح كأننا شخص واحد، بنفس الملامح... لكن يسوع مصلوب... وأعظم فرحة في حياتنا هي تلك التي نكتشفها في كل ألم، كبيرًا كان أو صغيرًا: "انظر، الآن أصبحت أشبه به"، وأصبحت "أقرب إليه". الحياة من أجل سعادة الناس، ومن أجل صداقة يسوع». (الأب لويجي چوساني، رسائل عن الإيمان والصداقة إلى أنجيلو مايو، المرجع المذكور، ص. ٣٣)

[١٣٠] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، ص ٣٨٩

يتعلق الأمر في البداية بالاعتراف بأنها حقيقة: صليب يسوع يُظِهرُ لنا ذلك بدون تردد. هل يمكننا أن نقول لله الذي اختار هذا الطريق: «أنت مخطئ!؟» السبب الذي دفع يسوع لبذل ذاته على الصليب هو حَالُنا، وهو العبء الهائل للخطيئة الأصلية (وخطايانا الشخصية). إن الخطيئة الأصلية هي سر لكن بدونها لا يمكننا تفسير أي شيء آخر. و لا يتعمق الأب چوسَّاني في هذه النقطة من كتابه ''هل يمكن العيش هكذا؟'' إذ اكتفى بالاشارة إليها فقط، دون الخوض في تفاصيلها، ربّما لأن تَعمُّقِها يتطلَّب جهداً فلسفياً معقداً.

ربما تساعدنا صورة على الفهم. إذ يتبادر إلى ذهني اللوحتان الجداريتان المتقابلتان على أعمدة مدخل كنيسة برانكاتشي [Brancacci] الصغيرة داخل كنيسة الكرمل في فلورنسا: كلاهما يصوران آدم وحواء. الأولى، لمازولينو [Masolino]، تمثل آدم وحواء في الفردوس الأرضي، قبل الخطيئة بقليل (هناك بالفعل الأفعى ملفوفة حول الشجرة). إنهما جميلان ومكتملان وحُرَّان ومغموران بالنور الذي يَعُم كل شيء بلطف، ويغمر المشهد، ولكنه يبدو وكأنه ينبثق من ظلام الخلفية: السر الذي يوضح، النور الخافت لسر الله. وتوجد أمامها لوحة الطرد من الفردوس الأرضي، لمازاتشو [Masaccio]، : آدم وحواء يغادران الفردوس، آدم مُطأطئ الرأس، وحواء تصرخ، في نور مبهر، وحاد؛ لم يعد لديهما حتى وجه مُحدَّد. يرسمهما مازاتشو بضربات فرشاة خشنة، بدون تفاصيل: عينا حواء هما شريطان أسودان، كأنما يريد أن يُظِهر لنا كيف شوهتهما الخطيئة. ومن استطاع دخول كنيسة برانكاتشي، ربما لاحظ أن لوحة طرد آدم وحواء تستمر، وكأنها جزء منها، في اللوحة الجدارية الشهيرة المجاورة «جزية القيصر». حول من رسم وجه يسوع في لوحة جزية القيصر (الذي كان صورة مُلصَقْ عيد الفصح عام ٢٠١٢) لا ينتهي النقاش حول هذا الموضوع هل هو مازاتشو أو مازولينو. أعتقد أن مازاتشو هو من رسمه (لن أشرح لماذا الآن)، ولماذا لوجه يسوع تلك الملامح بالذات لا يمكننا فهم ذلك إلا بالوقوف هناك: في الواقع، بالالتفاف نحو لوحة آدم وحواء في الجنة قبل الخطيئة، على الجدار المقابل تماماً، ندرك أن يسوع هو ابنهما! وينظر إليهما زائر الكنيسة ولا يستطيع أن يقول ما إذا كان وجه يسوع يشبه آدم أكثر أم حواء. يبدو لي أن هذه وسيلة يكتشف بها المشاهد أن في يسوع، وفيه وحده، يعود وجه الإنسان إلى جماله الأصلي. ويوجد الصليب أيضاً في جدارية ''جزية قيصر'': وفي تفصيلة الجدارية عن بطرس الذي معه النقود التي أخرجها من السمكة، يدفع الجزية لجابي الضرائب، تحت الأيدي التي يتم من خلالها دفع الجزية مباشرة، يوجد خشبة، وعمود خشبي لا تُرى قاعدته، ويبدو أنه موضوعٌ خارج الهامش السفلي للوحة الجدارية. إنه، في رأيي، إشارة سرية، ولكنها مرئية، إلى حقيقة أن تلك الجزية المدفوعة لجابي الضرائب هي رمز، وعلامة على الجزية العظيمة والنهائية، الفداء الذي دفعه المسيح لخلاصنا، على الصليب. فمن خلال تضحية الصليب، يفتدي يسوع

إنسانيتنا. وهنا نلاحظ أن النقود يدفعها بطرس والكنيسة نختبر فيها رحمة الله لنا بشكل ملموس.

وقبل المُضِي إلى الخطوة التالية، يقوم الأب چوسَّاني بتلخيص العناصر التي عرضها حتى الآن، كي يساعدنا على تَذَكُّرِها: «تهدف الخطوة الأولى في المقام الأول إلى الإشارة إلى استعصاء فهم التضحية لأنها تبدو مناقضة للطبيعة. وتبدأ في اكتساب المعنى حين يموت الله على الصليب. وهذا لا يبدأ فقط في إظهار أن لكلمة تضحية معنى، بل يكشف أن كل شيء، حياتنا بأكملها،وأيامنا جميعاً مليئة بعدد لا محدود من التضحيات، الصغيرة والكبيرة. وإن تَقَبَّلَ الإنسان هذه التضحيات استجابةً لموت المسيح، ومشاركة في موته من أجل خلاص العالم، فإن من يقدم تضحية هنا والآن، قد يساعد، دون أن يشعر، أماً فقيرة في يوغوسلافيا [حيث كانت الحرب دائرة آنذاك؛ واليوم يمكننا القول في غزة أو الكونغو أو أوكرانيا] تفقد ولدها بسبب قذيفة مدفع: فلا زمان ولا مكان هناك. فبالنسبة لما يتجاوز الزمان والمكان – مثل قيمة التضحية، تضحية المسيح أو تضحيتنا –، لا وجود للزمان والمكان، فالزمان والمكان لا يتوقفان. فالتضحية التي أقدمها حُباً في المسيح، الآن، قد تساعد شخصاً واحداً أو أشخاصاً كثيرين آخرين يواجهون الغرق في خليج تونكينو الآن (في بحر الصين الجنوبي)، فمن يعلم؟»[١٣١]. أو ضحايا الزلزال المدمر في جنوب شرق آسيا، فمن يعلم؟

ب) التضحية بالمظاهر

عندما نصل لقلب الموضوع، يوضح الأب چوسَّاني ما هي التضحية الحقيقية: وهنا يَبرُز الجانب الأهم في هذه الصفات من كتابه ''هل يمكن العيش هكذا؟''. التضحية والتنازل الذي تتطلبه هو محاربة الخطيئة التي هي كذب دائماً؛ فقبول التضحية بدل الهروب منها يعني الاعتراف بوجود شيء أهم من الراحة الفورية. والتضحية رفض عبادة الأوثان، أي إغراء التوقف عند ما يعدنا بالخير لكنه لا يستطيع تحقيقه. التضحية بما هو ظاهري، والتضحية بالتمسك بدلاً من الإقرار، وأن نصبح سادة بدلاً من أن نحب مصير الآخر، أن نغلق على أنفسنا في ادعاء باطل بالاستقلالية بأننا يمكن أن نكون بخير، بدلاً من تلبية الدعوة الكبرى.

لن أكرر ما قلته يوم الجمعة، لكن كم هو مؤثر أن ندرك سهولة تخلينا عن الحقيقة لتجنب التضحية! ففي مقال نشرته جريدة ''الغد'' في ١٢ يناير الماضي، في واحد من التحليلات الكثيرة عن توجهات مجتمعنا، كتب مؤلف المقال إنزو ريسو [Enzo Risso] الدير العلمي لمعهد IPSOS لاستطلاعات الرأي: «تزداد لدى الإيطاليين الحاجة للخفة والمرح والمتعة حتى النشوة. فالتسلية والترفيه هو طموح ٧٢٪ من الإيطاليين، و٧٩٪ يبحثون

[١٣١] نفس المرجع السابق، ص ٣٩١

عن كل فرصة للمتعة وفعل أشياء ممتعة. كثيرون يحبون العشاء خارج البيت (٧٦٪) وتقريباً نصف سكان البلاد (٤٨٪) يعتبر الذهاب للمطاعم باستمرار من عوامل الرضا عن الحياة. وهناك نسبة كثيرة ممن يبحثون عن منتجات تمنحهم إحساساً بالخفة والراحة (٧٦٪). [...] والنموذج الناشئ الذي يُعرَّف به الشخص، أو بالأحرى جوهره الشخصي، من خلال خبرة المتعة واستهلاك اللحظات المُشبِعة. نحن لسنا أمام ظاهرة وجودية سطحية، بل أمام تَحوُلْ (أو رجوع ربما): تتغير الطريقة التي يرى بها الأفراد أنفسهم ومكانهم في العالم. هناك توجه ودفع نحو «فلسفة المتعة» حيث لم تعد المتعة جانباً من الحياة فقط، بل هدفها الأساسي. والبحث عن السعادة، الذي كان مثالاً عاماً، أصبح مجرد ممارسات استهلاكية وخبرات حسية فورية».[١٣٢]

باتت التضحية أكثر فأكثر شيئاً نَفرُّ منه، كما يخبرني الأطباء الذين يديرون دورات التخصص الجامعية: فطب الطوارئ لا يريد أحد أن يعمل به تقريباً، بينما يَكثُر عدد أطباء الأمراض الجلدية المستقبليون؛ أو كما يُظهر النقص في الأشخاص المستعدين للقيام بأعمال تتطلب تضحية كبيرة، من الجرسون إلى الخباز، وصولاً إلى البنَّاء. فبلا غاية أسمى، نغرق لا محالة في عبادة المتعة الفورية الزائفة، التي هي وهم. وترافق هذه النزعة الفردية المتزايدة السعي للمتعة الفورية، التي تناقض التضحية؛ فيهرب الانسان من بذل حياته من أجل الآخرين، متجاهلاً نداء الخير في داخله، فبدون المحبة يَشقَى الإنسان. إذ يتصوّر الانسان الحياة كمنفعة شخصية بدون الآخر. لكن بدون تضحية لا توجد علاقة حقيقية. فبدون تضحية، كيف يمكن أن توجد أيّ علاقة حقيقية مع الآخر؟.

«بدون تضحية، العلاقة مع الإنسان – أيًّا كان، حتى علاقة الأم بطفلها – ليست حقيقية. فبدون تضحية – وأقولها بوعي، لأنه لا يمكن أن نبقى أطفالاً دائماً – فنحن لا نحب شيئاً ولانحب أحداً، باستثناء رد الفعل الأناني للذات في نهاية المطاف. لأنه بدون تضحية فنحن لا نريد خير الآخر.»[١٣٣]

ج) التضحية الحقيقية هي الاعتراف بحضور

تُصبِح التضحية الحتمية إيجابية فقط بالمسيح، وتصير التضحية المظهرية لهذا الوعد الزائف بمتعة فورية ممكنة لحب حقيقي: تأكيد الآخر لأكون أنا نفسي. ويولد وعي ذاتي جديد، يمر حتماً عبر التضحية. وبدون الكثير من الشرح، يجعلنا الأب چوسَّاني نفهمها بأحد الأمثلة الجميلة: «أحكي لكم حدث مؤثر من واقع حياتي عن شاب وفتاة، بارعان جداً وفي ريعان شبابهما، تمت خطبتهما في إحدى بلدات أبروتسو [Abruzzo]، وكان زواجهما مقرراً خلال بضعة أشهر. وذهب إلى هناك أحد الأباء الكومبونيان اسمه الأب سيميني [Sémini]، ليقوم بأسبوع من الأنشطة حول الإرساليات. وذات مساء، بينما كانا يذهبان إلى

---

[١٣٢] إنزو ريسو، «المتعة هي الهدف النهائي. العودة إلى الملذات الجسدية في عصر الفردية»

[١٣٣] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن (حقاً؟!) العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، ص ٥٠٢

البيت، قال الشاب للفتاة: ''اسمعي، إن لم أُضحِّي بنفسي بالذهاب لأخدم كمبشر – فهناك كثير من الناس يعيشون بدون معرفة الله، ويعيشون تعساء – إن لم أضحّي بذاتي، فلن أشعر بأنني أستحقك، وسأخجل منك، ومن أن أقول لكِ: ''أحبك''. وجاء ردها بالصراخ والبكاء وعظيم الويلات في سماء بلا نجوم. لكن النهاية كانت مؤثرة: فقد ذهب هو مبشراً وهي، بعد شهور قليلة، دخلت الدير لتصبح راهبة مبشرة؛ والآن هو راهب مبشر يخدم في مكان وهي راهبة مبشرة تخدم في مكان آخر.»[١٣٤]

ويواصل الأب چوسَّاني بأن هذه التضحية من أجل حقيقة حياة الانسان، لحب المسيح تتضمن حزناً، ليس لما يتركه الانسان، بل لأن الحضور الذي أريد تأكيده لا أنجح في تأكيده حقاً. إذن لا يمكنني إلا أن أسعى لأعطي كل شيء، مؤتمناً الإتمام للآب، كما فعل يسوع في الآلام. إنني لا أستطيع أن أحب حتى النهاية، ومن هنا يولد الحزن، لكنه حزن يفتح على فرح تسليم الذات له.

وعند هذه النقطة، تتحدث بعض صفحات كتاب «هل يمكننا العيش هكذا؟» بشكل خاص لحاضرنا هذا. يطرح الأب چوسَّاني سؤالاً: «انتبهوا للمشكلة!. كيف يمكنني أن أتعرف على حضور المسيح هذا، وأحبه، حتى التضحية (هل هذا هو الإيمان كتضحية، أم هو تضحية الإيمان)؟ لماذا نحن معاً، يا صديقي؟» فيجيب: «نحن هنا لأن المسيح في وسطنا».[١٣٥]

ثم يضيف أدناه: «من وصلته الكاريزما، لا يمكنه إتباع المسيح بتخليه عنها: سيكون ذلك خيانة. فكل الناس الذين قالوا لي: ''الحركة بها كل هذه العيوب، سأغادرها''، وكل من غادروا، فقدوا كل شيء، ولم يفهموا شيئاً بعد ذلك، لدرجة أن الكثيرين يعودون في مرحلة ما. [...] إذا كان المسيح قد عرَّفك بنفسه من خلال هذه الظروف التي تمثلها هذه الوجوه، فمن خلال هذه الوجوه، وهذه الظروف يغيرك، ويجعلك عظيماً بقلبك، وروحك، وعقلك»[١٣٦]. لذلك، يتعلق الأمر بالتعرف على هذا الحضور العظيم في الرفقة والصحبة التي دعانا إليها، والتي تحدث الآن. لهذا السبب، فإن التضحية الأهم هي الالتزام بالطرق الملموسة التي تَصلُني من خلال الكاريزما: إنه تماثل متواصل، وتضحية اتباع قلبي، بلا مسافات. هل تتذكرون؟ قلت العام الماضي: بدون أن نبتعد «مليمتراً واحداً» عن هذا الجسد الملموس، كما يسير في الزمن. إنها التضحية الملموسة التي تسمح للمسيح بأن يصبح مقياس حياتي.

«فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ»: كيف يمكن لحياته فيّ أن تكون ملموسة، دون أن أُسلِّم نفسي لواقع هذه الكاريزما كما هي مُعطاة لي، رفقة وصحبة خاصة في وحدة الكنيسة، وفي الوحدة مع البابا؟ فإذا قبلنا تضحية الإيمان هذه، أي عدم وضع شروط

---

[١٣٤] الأب لويچي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، الصفحات ٣٩٥ – ٣٩٦
[١٣٥] المرجع السابق، ص ٣٩٦
[١٣٦] المرجع السابق، ص ٣٩٨

للمسيرة التي تقترحها صحبتنا بقيادة المختارين منها، نبدأ في الفهم ونبني الوحدة، التي هي ثمرة تضحية الإيمان: «فالمحبة هي التي تصنع الوحدة: تَلِدها وتجعلها مرغوبة»، كما قال البابا بنديكتوس السادس عشر (الطيب الذكر) في قداس إعلان قداسة داميان من مولوكاي [Damiaan di Molokay]، الراهب الذي قدم حياته لخدمة مرضى الجُذَامْ في واحدة من تلك الجزر البعيدة في هاواي.[١٣٧]

وقال يسوع: «بل وسيفعلون أعظم من ذلك بكثير» . دائماً ما تتردد هذه الكلمات في ذهني، متذكراً بداياتي ككاهن ومعلم للدين في «مدرسة بِرشِيه الثانوية». آنذاك، كان يتبعني بضعة فتيان، وكان توسيع دائرة التأثير آخر ما يخطر ببالي... الآن، تنتابني قشعريرة من الرعب بمجرد التفكير في ذلك! ''من يظل ثابتاً فيّ، ومن يحافظ على ولائه بانتمائه إليّ [وأنتم تنتمون إليّ من خلال وحدتكم وتآلفكم، لأن وجودي يتجلى في هذه الرفقة] فإنه سيصنع أعمالاً مماثلة لما فعلته، بل أعظم''».[١٣٨] إن التضحية التي تجعل محبتنا حقيقية وتبني وحدتنا هي هذا التمسك القوي بهذه الرفقة وهذه الصحبة.

الاعتراف واتباع هذه الرفقة التي يكون فيها المسيح حاضراً. فهذا الاعتراف يتطلب جهداً وتضحية. فمنذ سنوات، أبهرني فيلم ''قادوش'' لعاموس چيتاي [Amos Gitai].[١٣٩] يعرض الفيلم في مشاهده الأولى، رجلاً يستيقظ (سنكتشف لاحقاً أنه كان يستعد ليصبح حاخاماً)، وفي كل حركة صباحية روتينية (فتح العينين، ووضع القدمين على الأرض، والاغتسال، وارتداء الثياب الخ ...) يؤدي طقساً يُذَكِّرُه بانتمائه العميق إلى الله. في التراث اليهودي، بكل قوانينه وتشريعاته، ينحو كل شيء نحو تأكيد الصلة الوثيقة بين كل فعل في الحياة والله. فكرت وقلت: يا له من إلهام! كل إيماءة لها قانونها الراسخ كي لا ينسى! ولكن كم يختلف هذا في الخبرة المسيحية، حيث القاعدة التي تجدد فينا الذاكرة وتمنحنا نعمة يسوع هي واقعية شركتنا الحية.

وببقائنا في كَنَفْ هذه الشركة، كما يوضح الأب چوسَّاني في صفحات مذكرات الاجتماع العام، نكتشف ونقبل ونتعلم كيف نحب التضحية الكامنة في الاعتراف بحضور المسيح في الأسرار المقدسة، وفي الليتورجيا، وفي كلمة الله: «معذرةً، أن تعترف بأن المسيح، ذاك الانسان الذي عاش ومات وقام في فلسطين قبل ألفي عام، حاضر في الكنيسة القريبة؛ وأن تعترف بأنه هناك، في الخبز، تحت هيئة الخبز، كعلامة للخبز؛ وأن تعترف بذلك: أتحداكم إن وجدتم تضحية بالذات (بعقلك، وبواجبك في المحبة، وبشغفك ليعرفه العالم كله) أعظم من هذه».[١٤٠]

---

[١٣٧] البابا بنديكتوس السادس عشر، «عظة قداس إعلان قداسة بعض الطوباويين»، ١١ أكتوبر ٢٠٠٩

[١٣٨] الأب لويچي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، ص ٣٩٩

[١٣٩] قادوش (فيلم فرنسي إيطالي، ١٩٩٩)، من إخراج عاموس جيتاي

[١٤٠] الأب لويچي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، ص ٤١٤

يُعطينا لقاء المسيح وعياً ذاتياً جديداً، الذي يتطلب التخلي عن معاييرنا الشخصية، لكنه يؤدي إلى الثمر الوفير (المائة ضعف) الذي نشهده بالفعل. ويبدأ هذا الثمر الوفير بإدراك الحياة كدعوة، أي بحقيقة «''أنني صنيعتك''»[١٤١] وأن كل شيء وهبه الله لي: وهذه الرفقة وهذا الاتحاد، اللذان بهما يكتمل وجودي، كحياة المسيح في داخلي: «المسيح هو المثل الأعلى لحياتنا التي هي محاولة تجاوب ورغبة في تلبية نداء الله؛ إنها دعوة الله، مخطط السر الإلهي لي. لأنني في هذه اللحظة، إذا كنت صادقاً ومتأملاً أدرك أنه ليس هناك شيء أوضح من ذلك [...] مثل الحقيقة بأن كل شيء في هذه اللحظة [...] قد أعطاه الله لي لتحقيق مخططه، وهو ليس مخططي الخاص، بل يتحقق عبر كل شيء: عبر الكتابة، وعبر الحديث، وعبر صلاة التبشير الملائكي، [...] عبر كل شيء، كل شيء. ''سواء أكلتم أو شربتم''، كما يقول القديس بولس، مستخدماً أبسط مثال يمكن تصوره؛ ''سواء سهرتم أو نمتم''؛ ''سواء حييتم أو مُتُّم'' - كما سيقول في مواضع أخرى - فكل ذلك هو لمجد المسيح، أي لمخطط الله. فالمسيح هو مثل الحياة الأعلى».[١٤٢]

لقد دعانا لنعطي شهادة له. «كيف نعطي شهادة له؟ بالعيش معه. فمن يقرأ الإنجيل يومياً، ومن يتناول القربان المقدس يومياً، ومن يقول: ''تعال يا رب''، ومن يرى بعض رفاقه الذين أصبح هذا النهج جزءاً من حياتهم، يمكن أن يبدأ في فهم معنى العيش معه. وبطريقة أخرى، يمكن القول إن العيش معه يعني العيش مثله.»[١٤٣]

إنه العيش معه، والعيش كما عاش هو. وبوعينا بالمسيح كمثلنا الأعلى في الحياة، تُصبِح البتولية ممكنة. وعندما نقرأ كتاب ''هل يمكننا العيش هكذا؟''، يثير الدهشة أنه يتحدث عنها كبعد من أبعاد الحياة المسيحية للجميع، حتى قبل أن تكون دعوة محددة للبعض. إنها جزء من الرغبة في التوحد مع المسيح. فالبَتولية، بدلاً من التملك، هي «حب خالٍ من حب الامتلاك». تذكروا ميجيل مانيارا [Miguel Mañara] - تلك الشخصية التي قدمها لنا ميلوش [Milosz] وعرفناها وأحببناها بفضل الأب چوسَّاني - حين اكتشف لأول مرة في چيرولاما [Girolama] (فتاة في السادسة عشرة من عمرها) طريقة أخرى للحب. فهي تقول: «أنا أحب الزهور كثيراً» فيسألها: «أتحبين الزهور يا جيرولاما؟ ولِمَ لا أرى واحدة منها في شعرك أبداً [...]؟». فتجيب جيرولاما: «لأنني أحب الزهور ولا أحب الفتيات اللواتي يتخذنها زينة، كالحرير، أو الدانتيل، أو الريش الملون. إنني لا أضع الزهور أبداً في شعري (لأنه جميل بالكفاية، أشكر الله!). إن الزهور كائنات حية رائعة يجب أن ندعها تعيش وتتنفس هواء الشمس والقمر. إنني لا أقطف الزهور أبداً. فمن الممكن أن

---

[١٤١] الأب لويجي چوساني، «الحس الديني»، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٦

[١٤٢] الأب لويجي چوساني، «الزمن والمعبد. الله والانسان»، بور، ميلانو ٢٠١٥، ص ٦٥

[١٤٣] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، الصفحات ٤١٨ - ٤١٩

نحب حقاً، في هذا العالم الذي نعيشه، دون أن يراودنا على الفور الرغبة في قتل من نحب، أو سجنه في صندوق زجاجي، أو (كما نفعل مع الطيور) في قفص حيث الماء يفقد مذاقه الطبيعي وكذلك بذور الصيف».[١٤٤]

إنه العيش معه، والعيش مثله. فإذا كانت مهمتنا العظمى في العالم هي شغف المسيح بالإنسان، وبذل ذواتنا من أجل محبته لصالح مصير كل انسان، ففي النظرة التي أوجهها لكل إنسان تهتز تضحية ردّ الفعل الفوري: «يجب أن أضحّي بردّ الفعل الفوري، سواء كان سروراً أو ألماً، تعاطفاً أو نفوراً؛ إذ يجب أن أُضحِّي بالانطباع الأولي. الانطباع الأولي عند رؤية امرأة جميلة... أليس كذلك؟ يجب أن أضحِّي بذلك».[١٤٥]

لكي يشرح لنا هذا، يطرح علينا الأب چوسَّاني السؤال: «من امتلك مريم المجدلية أكثر؟ هل هو المسيح الذي نظر إليها لحظة وهو يمر أمامها، أم كل الرجال الذين امتلكوها؟».[١٤٦] التملك بلا تَعَلُّقْ، هذه هي العفة. ولذلك، تعود لتنظر إلى المسيح، لأنه هو مصدر هذه الطريقة المفارقة والمذهلة في المحبة. إنها مفارقة، لكنها الوحيدة القادرة على إرواء عطشنا إلى الحقيقة والمحبة والامتلاء الذي يُشكِّل كياننا. إنه أمر بعيد تماماً عن اللذة الفورية، وعن الخوف من التضحية! «فهذه الحقيقة في طريقة محبة المسيح أدهشت وأبهرت كل من كانوا ينظرون إليه: إذ كانوا مذهولين من ذاك الرجل، بدون أن يلمسهم. إنه كان يلمس فقط من كان أعمى في عينيه، أو أبكماً في فمه، أو أصماً في أذنيه ليشفيهم، فقط هؤلاء. ... ومع ذلك، إذا اقترب منه أحدهم على بعد عشرين متراً، شعر بهذا الحضور، ورجع إلى بيته وهو يحمل في داخله تلك الصورة التي كان من الصعب عليه أن يتخلص منها، بل كان عليه أن يُجهد نفسه كي يُزيلها!».[١٤٧]

لكن ما نراه في المسيح يحدث الآن أيضاً: ويستشهد الأب چوسَّاني مجدداً بالأم تيريزا من كالكوتا ليشير إلى أن المحبة كما أحبَّ المسيح ممكنة اليوم. ويمكن لكل واحد منا أن يفكر في محبة الكثيرين منا الذين يقدمون ذواتهم – حتى في المرض – ويعطون شهادة بذلك أمام الجميع.

أ) العفة هي للجميع

إن العفة هي الشكل الحقيقي لكل علاقة انسانية: فكل إنسان، عندما يكتشف أن المسيح يحبه محبة لا حدود لها، فيعكس هذه المحبة في حياته بلا تملك، محبة لمصير الآخر، فهي المحبة الحقيقية. أستشهد مرة أخرى من ''اللقاء الذي يشعل الرجاء'': «في إحدى رواياته، يقول شارل–فرديناند رامو» : [Charles-Ferdinand Ramuz] ''إننا نُحِبُّ ما لا يدوم فقط باسم ما يمكن أن يدوم''. هذه هي طبيعة الإنسان: ''نُحبّ ما لا يدوم فقط باسم ما

---

١٤٤ أوسكار ف. ميلوش، «ميجيل مانيارا وميفبوسيث وشاول الطرسوسي»، ياكا بوك، ملانو ٢٠٠١، ص ٣٤
١٤٥ الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢٠
١٤٦ نفس المرجع السابق، ص ٤٢١
١٤٧ نفس المرجع السابق، الصفحات ٤٢١ – ٤٢٢

يمكن أن يدوم''. فقد أوضح برجسون [Bergson] جيداً قيمة هذه الكلمة ''دوام''. ''أن نحب ما لا يدوم'' يعني: أننا نُحبّ ما ليس له كيان ثابت، '' نحب باسم ما يمكن أن يدوم فقط''، باسم الكائن وباسم الثبات فقط».[١٤٨]

هذا لا يعني أن حبنا الشامل للمسيح يلغي حب كل التفاصيل (لذلك يأتي ذكر «المائة ضعف»)، بل يفتح المجال لكل إنسان، ولكل فعل حب حقيقي، ليظل خالداً، كما يشير الأب چوسَّاني في كتابه ''معجزة الضيافة''، وهو نص آخر أُعيد نشره مؤخراً بطبعة موسعة تستحق التمعن. وقد أثر فيّ بشكل خاص فصل «العيش بالعطاء المجاني»، الذي سجل يوم بداية العام للحركة في ميلانو في عام ١٩٨٨: «لنطمئن، فلن ينزلق الناس والأشياء إلى رتابة الذريعة، ولن يصبحوا أبداً ذريعة [كالقول: نحن نحب المسيح، ولذلك لم نعد نهتم بأي شيء آخر!]: سيصبح الناس أكثر أنفسهم إذا نظروا إليهم من خلال عيون المسيح، وفي نور المسيح؛ وستصبح الأشياء أكثر نفسها إذا تم فهمها بالمحبة التي فهمها بها المسيح».[١٤٩]

ويعبر عن ذلك بكلمات أخرى في كتاب ''اللقاء الذي يشعل الرجاء''، متحدثاً عن الشاب الغني: «ماذا يعني التخلي عن كل شيء لأجل المسيح؟ بالنسبة للشاب الغني كان سيعني حقاً ترك البيت، والمال، والخيول، والثيران، وحتى الفتيات، وهكذا يتبع المسيح. لكن هذا ليس في حد ذاته التخلي عن كل شيء لأجل المسيح. فإذا طبق أحدهم العبارة حرفياً، فعليه أن يتخلى عن الأرز، والنبيذ، وحتى الماء، وسيهلك في وقت قصير. ليس هذا هو المقصود – من الواضح – بل هو الإدراك، والتقييم، والتعامل مع الأشياء، أياً كان نوعها، في ضوء شيء أعظم، وهو سر ملكوت الله، أي المسيح».[١٥٠]

إنها خبرة المائة ضعف، التي يعطيها لمن يحب بدون تملك أو تعلق، بالعفة والبتولية: «ولا يمكن – كما يأتون إليّ ليتذمروا – أنهم لا يختبرون المائة ضعف هنا على الأرض؛ بالتأكيد، لا تختبرها لأنك تتخيل المائة ضعف كما تريدها أنت، تتخيل المائة ضعف كإتساع للغريزة. لكنه شيء آخر، إنه شيء آخر أجمل، وأكثر أماناً، وأكثر جاذبية، وأكثر إنسانية، يجعلك أخاً وأختاً للرجل الفقير الذي كاد أن يصبح جيفة، الآن، في المجاري على هامش الطريق يحتضر والذي تأخذه إحدى راهبات الأم تريزا من كلكوتا، دون اشمئزاز، وتحمله إلى المنزل. فيغسلونه، ويلبسونه... وقبل أن يموت، بعد بضع ساعات، يقول: ''عشت دائماً كتعيس وأموت كملك''. لقد عُومِلَ كملك، عُومِلَ كملك: المائة ضعف هنا على الأرض».[١٥١]

---

١٤٨ الأب لويجي چوساني، «اللقاء الذي يشعل الرجاء»، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢
١٤٩ الأب لويجي چوساني، «معجزة الضيافة»، پيمي، ميلانو ٢٠٢٥، ص ٣٧
١٥٠ الأب لويجي چوساني، «اللقاء الذي يشعل الرجاء»، مرجع سبق ذكره، ص ٧٧
١٥١ الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، الصفحات ٤٢٢ – ٤٢٣

إنها نفس الخبرة التي رأيناها تحدث بيننا عندما تعرفنا على الأب ألدو ترينتو [Aldo Trento]. أذكر أنه كان يحكي أنهم التقطوا ذات مرة أحد هؤلاء الفقراء، الذي كان مليئاً بالديدان. وبعد أن غسلوه وعالجوه، كان الأب ألدو ينظر إليه بينما كان يتناول الحساء ويضحك، ويأكل ويضحك، ويضحك... فسأله الأب ألدو: «لماذا تضحك؟». كان الفقير يعتقد أنه مات وأنه في الجنة بالفعل؛ كان سعيداً لأنه شعر بأنه في الجنة!

شكل جديد من الحياة، «مناخ محلي جديد»[١٥٢] (هذه صورة جميلة، لأنها تشير إلى مجموعة من الأشياء، وليس إلى شيء منعزل) كما يسميه في "ثورة الذات"، هو نواة الرسالة التي اختارنا الله من أجلها: أن نضع في العالم، وفي بيئات الحياة التي تجري فيها حياتنا اليومية، وأيضاً على مسرح المجتمع، «في العالم الذي هو كبير جداً وينتظره»،[١٥٣] تغيير الحياة الذي هو علامة على حضور المسيح. العفة كثمرة للمحبة، إذن، هي الشهادة العظيمة. إنها تشملنا جميعاً كموقف عميق في العلاقات الانسانية، بالمحبة بلا مقابل، حتى لو كانت بالنسبة للبعض هي شكل الحياة نفسه كدعوة (وبيننا كثيرون من اكتشفوا هذه الدعوة). ويؤكد ذلك الأب چوسَّاني في درس الرياضة الروحية لطلاب الحركة الجامعيين عام ١٩٩٤، والذي نُشر لاحقاً بعنوان «التَّعرُف على المسيح»: «تُسمى هذه التغيرات محبة. فالعمل الذي يصبح طاعة يُسمى محبة. وحب للمرأة الذي يصبح علامة على الكمال النهائي، والجمال النهائي، يُسمى محبة. والشعب الذي يصبح تاريخ المسيح، ومملكة المسيح، ومجد المسيح، هو محبة. لأن المحبة هي النظر إلى الحضور، كل حضور، مأخوذين بالروح حباً في المسيح، وبالرقة والحنان للمسيح. [...] هذه المحبة هي قانون الجميع، وليس للمتبتلين. إنها قانون الجميع، نعم، إنها قانون الجميع. والعفة هي الشكل الظاهر للحياة الذي تُذَكِّر الجميع بنفس المثل الأعلى للجميع، ومن أجل الجميع، وهو المسيح، الذي من أجله فقط يستحق الأمر أن نعيش ونموت، ونعمل، ونحب المرأة، ونربي الأولاد، ونساند ونساعد شعباً».[١٥٤]

من دُعي إلى العفة والبتولية، ولو في شكل الحياة، إنما يُعيد إلى الأذهان المثال الأعلى للجميع: أن نعيش معه، وأن نعيش مثله. وحين يتحدث الأب چوسَّاني عن الزواج والعائلة فهو لا يغير وجهة نظره. ففي كتيبه «مختصر التعليم المسيحي عن الزواج»، يختم الأب سيكاري [Sicari] الكتاب بلقاء مع الأب چوسَّاني، وقد توجه إليه - كما قال - لأنه «من بين جميع الكهنة الذين أعرفهم، لا أحد يتحدث عن البتولية المسيحية مثله».[١٥٥] وفي سؤالٍ أولي، يُطرح فيه أن «الانتماء الزوجي» يصعب عرضه على الشباب، يجيب الأب چوسَّاني بالذهاب إلى جوهر الدعوة إلى الزواج: «بالنسبة لشخص ناضج، وإن كان شاباً، فإن الانتماء لشخص آخر ليس هو الأولوية؛ بل أول ما يبرز هو الإحساس بالذات،

---

[١٥٢] الأب لويجي چوساني، «ثورة الذات»، مرجع سبق ذكره، ص ٦٩
[١٥٣] الأب لويجي چوساني، «معنى أعمال المحبة»، مرجع سبق ذكره، ص ١٢
[١٥٤] الأب لويجي چوساني، «الزمن والمعبد. الله والانسان»، مرجع سبق ذكره، ص ٧٣
[١٥٥] إ. م. سيكاري، «مختصر التعليم المسيحي حول الزواج»، ياكا بوك، ميلانو ١٩٩٠، ص ٩١

وبالشخصية. وكلما كان هذا الإحساس عميقاً وحقيقياً، ازداد المرء قدرة على الانتماء للآخر. وهنا نكتشف السرّ الأعظم: أنه لا بد أن يكون الاحساس بالذات كريماً، ومتماسكاً، وفاعلاً. وهذا لا يتحقق إلا عبر الانتماء الأصلي للمسيح، الذي يفتدينا من هشاشتنا، ومن اضطراب عدم الاستقرار». [...]

«وعندما يكون الانتماء كاملاً، ويشمل الحياة كلها (وهو كذلك في الزواج)، [...] فإنه لا بد أن ينبع من الانتماء الكامل لذاك الذي خلقنا، لإله حياتنا».[١٥٦]

أتذكر صديقتي كليوزا راموس [Cleuza Ramos] من مدينة ساو باولو، في البرازيل، التي قالت لي يوماً، بطريقتها الساخرة والمرحة في التعبير عن أمور عظيمة: «لقد تزوجت من ماركوس، ولكن في زواجنا كُنَّا ثلاثة: هو، وأنا، والمسيح. فقولي ''نعم'' لماركوس قلته من خلاله أيضاً للمسيح! فربما يرحل ماركوس مع امرأة أخرى» - وأضافت: «أو مع رجل آخر، كما هي تقليعة هذه الأيام» «لكن تبقى كلمة ''نعم''، لأن قلتها ليسوع». فحتى في الزواج، الحب مدعو ليكون بتولياً، لأنه لا يوجد حب حقيقي دون تضحية عدم التعلق، بالنظر إلى مصير الآخر: «إذ يتحقق عدم التعلق الأسمى حين يتجه النظر بالحب مباشرة إلى مصير الآخر. ويصبح التملُّك أمراً بغيضاً إذا كان قائماً على حسابات حول شريك الحياة. أما المحبة نحو مصير الآخر (وفيها يحب المرء أيضاً مصيره هو، بشكل لا ينفصل عن محبته لمصير الآخر)، فهي التي تسمح بالربط الصحيح بين التَملُّك والحرية».[١٥٧]

ويسأل سيكاري، انطلاقاً من مأساوية الواقع الذي نعيشه أحياناً: «وماذا عن الزوج الذي يترك زوجته فعلياً، ويهجرها جسدياً أو العكس؟ ما معنى الأمانة في هذه الحالة؟». فيرد الأب چوسَّاني: « لا يمكن أن نجد المعنى إلا عبر اكتشاف الجانب ''البتولي'' في الدعوة. مع ملاحظة أن هذا الجانب كان موجوداً حتى قبل الانفصال، وكان هو جوهر العلاقة الزوجية. في مأساة الهجر الظالمة، يظهر هذا الجانب البتولي بشكل مؤلم، لكنه قادر على أن يكون خلاصاً. [...] فالدعوة هي واجب من أجل الكنيسة، يوكّلنا الله بها عبر ظروف الحياة. [لذلك يعود للاشارة إلى البعد الأساسي للزواج] هناك وظيفتان أساسيتان: الزواج الذي وظيفته إنجاب الأبناء (هذا هو معناه العميق، حتى لو أراد الكثيرون اليوم وضعه في المرتبة الثانية)، والعفة والبتولية التي وظيفتها تذكير الجميع بـ ''الشكل المثالي'' للزواج. ولهذا السبب، فإن من يعيش الزواج المسيحي حقاً يقدر تقديراً كبيراً من يجسد في الكنيسة الدعوة البتولية. وبالعودة إلى حالة الزوج المهجور أو الزوجة المهجورة: قد يحدث، بسبب هذا الظرف الصعب المتمثل في الهجر، أن يُدعى الشخص لاستكشاف أعمق قيمة يُنِيَ عليها زواجه: وهي أن يكون أداة للمسيح لبناء الكنيسة. حينها، سيتوجب عليه أن يعيش فترة الانتظار، التي تبدو غير مثمرة، بتواضع كبير، ويقبل حالة العفة التي

---

١٥٦ الأب لويجي چوساني، «الحوار حول الزواج»، إ. سيكاري، «مختصر التعليم المسيحي حول الزواج»، مرجع سابق، الصفحات ٩٢ - ٩٣

١٥٧ المرجع السابق، الصفحات ٩٥ - ٩٦

تبدو مفروضة عليه، لأنها ليست مجرد ''حادث'' بل دعوة لاكتشاف جذرها القوي. وعلى أساس هذه «العِفة الجِذرية" يجب أن يبني المرء سلامه، ورسالته، وعطاء ذاته للكنيسة».[١٥٨]

وأجاب الأب چوسَّاني على السؤال: «هل ينطبق الأمر نفسه على كل من لا يستطيع الزواج، رغم رغبته فيه؟» بقوله: «نعم، فالدعوات ليست ثلاثة، بل الدعوة واحدة، وهي الدعوة المسيحية بشكلين مختلفين. فَلِمنْ لا يستطيع الزواج أو إتمامه، أقول: اسمع، أين أصْلُ كل شيء؟ إنه في رغبتنا في الامتلاك وأن نكون مملُوكين [في أن نُحِب وأن نكون محبوبين]. ولكن لمن يحب المسيح، هذه الرغبة هي علامة على العلاقة معه، المُحقَّقة جوهرياً بالفعل والتي لا تزال دائماً في طور البناء والاختبار. ومهما حدث، ومهما كان الانحراف الذي يلحق برغبتنا في الامتلاك وأن نكون مملوكين، يجب التمسك بالطبيعة الأصلية لهذه الرغبة. هذا وحده يسمح بالعيش بدون إحباط تضحية تلك الرابطة التي تبدو مستحيلة تاريخياً». [١٥٩]

تعاني العديد من العائلات، حتى بعض عائلاتنا، من مأساة الانفصال. فكثير من الناس يشعرون ربما أن رجاءهم في تكوين أسرة قد خُذِلَ. ولكن إذا أخذنا على محمل الجد هذا المنظور الذي يشير إليه الأب چوسَّاني، تنفتح أمامنا آفاقاً من الإيجابية المدهشة. ويعود ما قلناه بالأمس: أنه عندما نتحدث عن المحبة، «ففي العمق [...] الموضوع [...] هو الإيمان».[١٦٠] تأملوا في أمانة ووفاء مريم العذراء تحت الصليب، كما أظهرت لنا بصور مؤثرة لوحات الرسام دوتشو [Duccio]. كان يبدو أن كل شيء قد ضاع، لكن مريم بقيت أمينة لكلمة «نعم»، مجددةً إياها في كل لحظة. وقال الأب چوسَّاني في نص من عام ١٩٨٩ بعنوان «مريم: الإيمان والوفاء»: «أريد أن أشير أيضاً إلى أمر آخر يُدهشني وينبع من الإيمان، وهو الوفاء. فوفاء مريم، حتى عندما كانت الأمور تبدو عكس ما كانت تتوقعه أو ما قِيل لها. [...] ''كانت واقفة'' [...] كانت مريم أمه واقفة قرب الصليب الذي كان ابنها يموت عليه. [...] وبسبب مشاركتها بهذه الطريقة في موت ابنها، شاركت أيضاً في العطية العظيمة التي قدَّمها ابنها للعالم، ولي، ولكم جميعاً، ولكل إنسان أتى إلى هذا العالم، والذي هو موجود الآن، والذي سيأتي، كما يعلم الآب: وهو عطية الخلاص».[١٦١]

إنها تضحية لا يمكن تقديمها إلا بهذا الوفاء للدعوة الأصلية. لكن، ونحن نقول هذا، لا ينبغي أن نغفل عن المأساة التي يعيشها العديد من الأصدقاء الذين يمرون بصعوبات في الزواج أو يشعرون بعدم تحقق رجائهم في الزواج. فكم نحتاج إلى أن نولي عنايتنا لذلك بالصلاة والقُرْب لمن هم في هذه الظروف الصعبة، بدءاً بأن ننظر نحن أولاً إلى الدعوة

---

[١٥٨] المرجع السابق، الصفحات ١٠١ – ١٠٢

[١٥٩] المرجع السابق، ص ١٠٢

[١٦٠] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، ص ٣٦٠

[١٦١] الأب لويجي چوساني، «مريم: الإيمان والوفاء»، مجلة «آثار»، عدد ٥ / ٢٠٠٧، ص ٤

العظيمة لبذل الحياة بشغفنا وولعنا بالمسيح وبشغفنا وولعنا بكل إنسان! أترون، عندما يتحدث الأب چوسَّاني عن هذه الأمور (كما يفعل يسوع في الإنجيل)، فإن الحكم واضح! الحكم ليس: «كل شيء متساوٍ»، لا. بل هناك طريق لكل واحد، نكتشفه بالمشاركة والسير معاً، بدون التخلي عن الحكم، كما لو كنا نطلب بأيدينا الممدودة.

وهناك موضوع رئيسي آخر يرتبط بالعفة في العائلة وهو الضيافة والاستضافة. ففي بداية كتاب «معجزة الضيافة»، يخاطب الأب چوسَّاني بحماس عائلات الاستضافة:[١٦٢] «أيها الأصدقاء الأعزاء، إن مثالكم يُضِيءُ لي طريق المستقبل: بالأُلفة - أو بالأخوة - تفتحون ذراعيكم لاحتضان الآخرين بلا تردد. لذا، أوصيكم ألا تتوقفوا أبداً عن حفاوة ترحيبكم، مُقتدين بعمل المسيح مع الأطفال الذين التقاهم. إذا كان هو، الرب، قد انحنى على الصغار ليرسم الطريق للكبار، فإنكم وأنتم تفعلون الشيء نفسه، تصبحون علامة على شيء جديد يتسع كموجة من عائلة إلى عائلة، من الأقرب إلى الأبعد، في حركة هي بداية لمجتمع أكثر إنسانية لأنه مكون من أُناَس عاشقين لمصير البشر - ستبذلون حياتكم من أجل واحد منهم! - وقد عرفتم الفاعل الذي يمنح الحياة ونسمتها لكل شيء. وهكذا، كل من يلتقيكم يشعر أخيراً بأنه في بيته، أي مُستضاف وآمن كطفل بين ذراعي أبيه».[١٦٣]

يوثّق كتاب ''معجزة الضيافة'' كيف أن رؤية الأب چوسَّاني للضيافة وهي تتجسد على يد العديد من عائلات الحركة كانت علامة على صلاح كاريزمتنا، التي تقود إلى تجسيد المحبة في الحياة اليومية للعائلة.

ب) المحبة وأعمالها من أجل الرسالة

تنبع من هذه الإنسانية الجديدة الشهادة العظيمة للمحبة كبناء من الاستجابات العملية والملموسة لاحتياجات الأشخاص الذين نلتقيهم كل يوم. فقد ازدهرت عبْرتاريخ الحركة ثروة عظيمة من الأعمال والمبادرات، والآن في بقاع كثيرة من العالم، يبذل الكثير منا حياتهم بالمحبة المجانية. فحتى الأعمال التي لا تبدو خيرية بشكل مباشر، وحتى من يدير عملاً تجارياً، ومن يعمل كموظف، ربما في ظروف غير عادلة، وحتى من يعمل في السياسة، مدعو ليكون شهادة لمحبة المسيح. وهكذا نقدم مساهمتنا في بناء مجتمع أكثر عدالة وإنسانية تعمل على بناء شعب.

إن شهادة هذا الحب الذي لا يطلب شيئاً في المقابل، هي أعظم مساهمة يمكننا تقديمها، وهي لا تبقى مجرد نية، بل تصبح اهتماماً ملموساً بالحاجة الملموسة، كما قلنا

---

[١٦٢] عائلات للاستقبال هي جمعية لترويج الأنشطة الاجتماعية تأسست في عام ١٩٨٢ بمبادرة من مجموعة من العائلات التي، نتيجة للتعليم الذي تلقوه في جماعة «الشراكة والتحرر»، اقترحت فتح بيوتهم للاستقبال (المؤقت أو الدائم) للقُصّر أو البالغين الذين يواجهون صعوبات. وهي تروج وتدعم ظاهرة الرعاية البديلة والتبني وخبرة العائلات التي تستقبل آخرين في منازلها.

[١٦٣] الأب لويجي چوساني، «معجزة الضيافة»، مرجع سبق ذكره، ص ١٥

هذا الصباح. ويقول الأب چوسَّاني: «إسمها المحبة. هي التي تساعد القريب مجاناً، وأي إنسان، على حل وتلبية حاجته، مهما كانت طبيعتها: من الخبز إلى حاجات النفس والروح. أن تَحِل، أو تساعد في تلبية الحاجة التي من أجلها يبكي الإنسان ويتألم. [...] المحبة هي عامل يتحدى ويخترق جميع العوامل الأخرى، فالمحبة أعظم من كل شيء. إنها تُنجِبُ شعباً لا يمكن أن يظهر إلا من شيء مجاني. فالحسابات الدقيقة لا تستطيع أن تبني أرقى ظاهرة للتعبير إنساني، الذي هو واقع شعب. إن ما هو مجاني فقط يمكن أن يأتي به للوجود».[١٦٤] ويمكننا أن نفعل ذلك معاً فقط، بالصحبة التي أُعطيت لنا لكي نواصل مسيرتنا على الدوام .

ونَتذكَّر ما قاله لنا البابا فرنسيس في عام ٢٠١٥ : « إن من لمَس وشعر بحنان الرحمة هو فقط من يعرف الرب حقاً. والمكان المميز للقاء هو لمسة رحمة يسوع المسيح لخطاياي. ولهذا السبب، سمعتموني أحياناً أقول إن المكان المميز للقاء مع يسوع المسيح هو خطيئتي. وبفضل عناق الرحمة هذا تَنبُع الرغبة في التجاوب والتغيير، ويمكن أن تنشأ حياة مختلفة. [...] فالأخلاق المسيحية لا تعني عدم السقوط أبداً، بل أن ننهض دائماً، بفضل يده التي تمسك بنا. وطريق الكنيسة هو أيضاً هذا: أن نسمح لرحمة الله العظيمة بأن تتجلى. [...] ويجب على الكنيسة أيضاً أن تشعر بالدافع الفَرِح لتصبح زهرة لوز، أي ربيعاً مثل المسيح، من أجل البشرية جمعاء».[١٦٥]

وفي عام ٢٠٢٢، في ساحة كنيسة القديس بطرس المزدحمة بشعبنا، ختم قداسة البابا خطابه بقوله: «أود أن أطلب منكم مساعدة ملموسة لليوم، لهذا الزمن. أدعوكم لمرافقتي في النبوة من أجل السلام – المسيح، رب السلام! إن العالم يزداد عنفاً وحرباً، وهذا يخيفني حقاً، أقولها بصدق: إنه أمر يُخِيفُني –؛ ففي النبوة التي تُظِهر وجود الله وحضوره في الفقراء، وفي المهجورين والضعفاء و المُدانين أو المهمشين في البناء الاجتماعية؛ بالنبوة التي تعلن وجود الله وحضوره في كل أمة وثقافة، ملتقية بتطلعات الحب والحق، والعدالة والسعادة التي تسكن قلب الإنسان وتنبض في حياة الشعوب. لتشتعل في قلوبكم هذا القلق المقدس ،والنبوية والرسولية. لا تبقوا ساكنين».[١٦٦]

يمكننا في هذه المرحلة أن نفتح أفقا واسعاً. لنتأمل الكنيسة، حيث دُعينا لتقديم إسهامنا الأصيل، كما رأيتُ العديد منا يفعلون في إجتماع الأساقفة الأخير للكنيسة الإيطالية: لقد أُرسِلوا إلى هناك ليس من الحركة، بل من قِبل أساقفة العديد من الأبرشيات الإيطالية حيث يقدم الكثير منا، الكهنة وخاصة العلمانيين – الذين عُينوا مسؤولين عن المسيرة السينودسية، ومنشطين – فهم يقومون بعملهم ويقدمون حياتهم بلا مقابل من أجل الكنيسة حتى في بنيتها المؤسسية. لقد كان احتفالاً بالاعتراف ببعضنا البعض ورؤية أن كل واحد في أبرشيته هو هذه البذرة من الحضور والعطاء المجاني

---

[١٦٤] الأب لويجي چوساني، «الأنا والسلطة والأعمال» ماريبتي ١٨٢٠، چينوا ٢٠٠٠، ص ١٣٢
[١٦٥] البابا فرنسيس، «الخطاب الموجه لحركة الشراكة والتحرر»، في ٧ مارس ٢٠١٥
[١٦٦] البابا فرنسيس، «الخطاب الموجه لحركة الشراكة والتحرر»، في ١٥ أكتوبر ٢٠٢٢

للمسيح. وكذلك في السياسة، وفي المؤسسات، وفي المستشفيات، وفي الجامعات، وفي عالم الإعلام، وفي العالم الثقافي. بمجانية العطاء.

ويقول الأب چوسَّاني: «إن سمة الشعب الجديد المولود من حدث المسيح هي، في مواجهة الظروف اليومية، بالمحاولات، والمخاطرات والتضحيات التي ينطوي عليها ذلك، إنها عطاء مجاني يسعى إلى الاقتداء بالغزارة والنعمة التي أتى بها المسيح وبقي بيننا. عطاء مجاني هو ينبوع فرح، وسط التضحيات والتناقضات والألم».[١٦٧] بدون مصلحة شخصية، بل بالمحبة التي تدفعنا وتُحيي فينا ذلك «القلق النبوي والتبشيري المقدس» الذي يطلبه منا قداسة البابا والذي يجعلنا نرغب في أن نكون حضور شركة. شركة تقدم نفسها، وتفصل بين الحق والباطل، وفي الآن ذاته، تحتضن الانسان، حيث يمكن للجميع اكتشاف انعكاس لنظرة المسيح المليئة بالحب للإنسان، التي جذبتنا وعرفناها. «لقد عرفنا المحبة».

ونختتم بالاستماع إلى ترنيمة «المسيح، وهو يموت بذراعيه المفتوحتين في عناق أبدي». لندعها تستفزنا بالسؤال الموجه لكل واحد منا اليوم: «هل ستتركونه من أجل حب آخر؟».[١٦٨]

---

[١٦٧] لويجي چوساني و خافيير برادس وستيفانو ألبرتو، «إيجاد آثار في تاريخ العالم»، بور، ميلانو ٢٠١٩، الصفحات ٢٠٤ – ٢٠٥

[١٦٨] الأخ مارك أنطونيو من سان چرمانو (القرن السادس عشر)، «المسيح، وهو يموت بذراعيه المفتوحتين في عناق أبدي»، ترانيم أسبوع الآلام، الجمعية التعاونية للنشر «العالم الجديد»، ميلانو ٢٠٠٧، الصفحات ٥٠ – ٥١

القداس الالهي

طقس وقراءات القداس الالهي: مز ٢١ (٢٠): ٧؛ حز ٣٧: ٢١ – ٢٨؛

أر ٣١: ١٠ – ١٣؛ (أنظر حز ١٨: ٣١)؛ يو ١١: ٤٥ – ٥٦

عظة صاحب السيادة الكاردينال كيڤين چوزيف فاريل [Kevin Joseph Farrell]

رئيس المجلس البابوي للعلمانيين والأسرة والحياة

الإخوة والأخوات الأعزاء،

لقد استمعنا للتو إلى ما حدث بعد قيامة لعازر. فهذه المعجزة هي تتويج ''للآيات'' التي أجراها يسوع والمدونة في إنجيل يوحنا. إنها معجزة تعيد إحياء الرجاء في مواجهة المأساة الأكثر ظلاماً التي تعذب الإنسان، وهي الموت، وتُظهر قوة سلطان يسوع حتى على الموت نفسه.

إذن، إنها حقيقة استثنائية للغاية كان ينبغي أن تُثير الإيمان بيسوع وتقنع الجميع، بشكل قاطع، بهوية يسوع ورسالته كمُرسل من الله، وكابن العلي، وكإله متجسد في صورة إنسان. لكن هذا لم يحدث. إذ يذكر يوحنا الإنجيلي أن بعض اليهود آمنوا، بينما اعتبر آخرون ''الآية'' مجرد تهمة إضافية ضد يسوع وذهبوا للإبلاغ عن الحادث أمام السنهدريم (المجلس الأعلى للقضاء الديني عند اليهود في زمن المسيح). في ذلك المجلس بالتحديد، تقرر أن ''مصلحة الدولة'' يجب أن تسود على العدالة.

فقد قِيل أن السنهدريم قرر ''قتله''، لا ''إدانته''، لأنهم لم يجدوا فيه أي خطيئة أو جريمة تستوجب الإدانة. بل كانوا يخشون أن تتشكل حركة شعبية تتبع يسوع، مما قد يؤدي إلى قمع عنيف من الرومان، وتدمير الهيكل، وبالتالي الأمة بأسرها. فاضطر يسوع،

منذ تلك اللحظة، إلى عدم مقابلة الجموع التي كانت تبحث عنه واعتزل في منطقة صحراوية.

وهكذا نشهد نتيجة متناقضة لأكثر المعجزات إثارة التي رواها الإنجيل: إقامة لعازر من الموت، ويسوع يُدان بالموت؛ لعازر يُعاد إلى أحبائه ويعود بين الناس، ويُجبر يسوع على الاعتزال بعيداً عن الجموع؛ لعازر يستعيد الحياة، ويسوع يتجه نحو نهاية حياته. كأن يسوع قد رَفَعَ عن لعازر كل آلامه وسَقطت عليه هو.

هذا هو الجانب المذهل في الخلاص المسيحي. ففي مواجهة المعاناة العديدة التي تبتلي الوجود البشري، لا يتدخل الله ''عن بعد'' أو ''من فوق''، مُبعِداً عن الإنسان، وحتى عن نفسه، الشرور والشقاء.

وبالتجسد كانسان، اختار طريقاً آخر: لقد ''حمل'' في ذاته الشرور التي وجدها في الإنسان، وبذلك أطفأ إمكاناتها المميتة. فقد حمل يسوع في ذاته العُزلة التي وجدها فينا، وغرسها في اتحاده الحميم مع الله. كما حمل يسوع المخاوف ومشاعر عدم الأمان التي وجدها فينا، موحداً إياها مع ثقته اللانهائية في الآب.

لقد حمل يسوع في ذاته الكراهية والأحقاد التي وجدها فينا، موحداً إياها مع محبته اللانهائية. كما حمل يسوع في ذاته الموت الذي يهدد وجودنا، موحداً إياه مع كمال حياته غير الفاسد. وهكذا ''شفى'' الطبيعة البشرية. وبقي هو وحيداً، لكنه وهبنا إمكانية الأخوة والشركة الروحية.

لقد ذاق هو قلق التخلي والهجر، لكنه وهبنا اليقين بأننا في يدي الآب الأمينة. لقد جرحته الكراهية بلا سبب، لكنه وهبنا المحبة الإلهية، ينبوع حب لا حدود له. لقد مات هو، لكنه فتح لنا أبواب الحياة الأبدية التي تبدأ هنا بالفعل، في القلوب التي تسكن فيها النعمة.

إنها «المبادلة المذهلة» التي تحدث عنها آباء الكنيسة. فقد «أخذ منا» مخلصنا الوحدة، ومرارة الخطيئة، والهجر، والجحود، والكراهية، والألم والموت، و «وهبنا في المقابل» القُربْ والشركة مع الله ومع الإخوة، والمصالحة، والتحرر من الشر، والفرح الداخلي، وكمال الحياة في القيامة.

أيها الأحباء، لقد اختبرتم جميعاً هذه «المبادلة الإعجازية» التي تحدث عنها الآباء. وآية القديس يوحنا التي أرشدت رياضتكم الروحية في هذه الأيام، «لقد عرفنا المحبة»، تتحدث عن هذا بالضبط.

لقد اختبرتم أنتم أيضاً، في لقائكم واتباعكم للمسيح داخل الحركة، كيف أن وحدتكم، وتمرداتكم، وبؤسكم وانغلاق قلوبكم، ومخاوفكم، و''ميتاتكم''،

قد ''حملها'' المسيح مرات عديدة في سر المصالحة وفي لحظات الصلاة المشتركة حيث حضر المسيح بنفسه، ثم ''عرفتم'' السلام، والشركة، والثقة، وتجاوز الموت الداخلي الذي وُهِب لكم ''في المقابل''، خاصة في الاحتفال المشترك بسر الإفخارستيا، الذي فيه يعطينا المسيح ذاته ويجعلنا شركاء حقاً في طبيعته.

استمعنا في القراءة الأولى إلى الوعود العظيمة التي أعلنها حزقيال للمستقبل: لَمْ شمل أبناء الله المشتتين، والتغلب على عبادة الأصنام، والاتحاد تحت راعٍ واحد، وتغيير القلب، وعهد السلام، ومسكن الله النهائي بين الشعب. هذه الوعود، بالنسبة لنا، قد تحققت في يسوع المسيح.

وأنا متأكد أنكم قد ''عرفتم'' هذا التحقق للوعود أيضاً في حياة أخويتكم، وإن لم يكن بطريقة كاملة. ففيها أتيحت لكم الفرصة لتلمسوا بأيديكم لم شمل العديد من ''المشتتين''؛ رجال ونساء كانوا يسلكون دروباً مختلفة والآن يجمعهم إيمان واحد، ورجاء واحد، وتطلع نحو مصير واحد.

نحن نعيش اليوم في ثقافة بعيدة جداً عما تعلنه هذه الوعود: فبدلاً من إعادة التوحيد، نجد الانقسام والصراع؛ وبدلاً من الاعتراف بالإله الحقيقي، نجد خلق العديد من الأصنام الكاذبة؛ وبدلاً من عهد السلام، نجد العنف المنتشر، ليس فقط في الحروب بين الأمم، بل أيضاً في العلاقات اليومية والأسرية.

أما أنتم، فقد ''عرفتم'' عمل النعمة وتعلمون أنها ليست وعوداً غير قابلة للتحقيق. فالإيمان بالمسيح يخلق إنسانية جديدة حيث تعيش العلاقات السلمية والأخوية. هذا هو كنزكم وهو أيضاً ثمرة الكاريزما (الموهبة الإلهية) التي وصلت إليكم من خلال الأب چوسَّاني والتي تشاركون فيها جميعاً. لذلك، يقع على عاتق الجميع مسؤولية مواصلة فهم هذه الكاريزما بشكل أفضل وعيشها بطريقة كاملة.

قدموا للجميع، وخاصة الشباب، شهادتكم بأنه من الممكن بناء مجتمع أكثر إنسانية وعدلاً ومحبة. علمكم الأب چوسَّاني أن تقارنوا حياة الإنسان بحياة المسيح وتجدوا فيه الإجابات التي نبحث عنها جميعاً، وقبل كل شيء، لتستمدوا منه دَفعة الانطلاق والقوة التي تفتقر إليها إرادتنا الواهِنة.

إن لكم تاريخاً طويلاً من التواجد في ميدان التربية والتعليم في جميع مستويات المدارس. وهنا يَبرُز أحد أخصب وأكثر مجالات تطبيق كاريزمتكم أصالة، والذي يُمَكِّنُكُم من التحدث إلى قلوب الشباب وفهم تساؤلاتهم وآمالهم بتلقائية وتعاطف.

استثمروا هذه الخبرة الغنية التي تمتلكونها في المدارس وفي مسار تعليم الإيمان للشباب استثماراً كاملاً، ولا ''تنسحبوا'' من هذا المجال التبشيري، فهو وإن كان محفوفاً بالصعوبات، إلا أنه يحمل في طياته الكثير من الإشباعات والنتائج المذهلة.

وقد أكد قداسة البابا مراراً وتكراراً للحركات الكنسية على ضرورة إيصال كاريزمتها لكل البشر، ومشاركتها مع الجميع وتكريسها لخدمة الرسالة العالمية للكنيسة. فعلى سبيل المثال، طلب من التجديد الكاريزماتي الكاثوليكي أن يوصلوا للجميع «معمودية الروح القدس» التي تُميِزكاريزمتهم، وأن يسمحوا للآخرين خارج نطاق مجموعاتهم باختبارها. وهذا تحدٍ كبيريواجهكم أنتم أيضاً.

بالمثل، يمكن لأخوية ''الشراكة والتحرر'' أن تطرح على نفسها السؤال التالي: ما هو جوهر كاريزمتنا؟ وكيف يمكننا تسخيرها لخدمة الكنيسة، وكيف نوصلها للجميع، حتى لمن هم خارج الحركة؟ سيهديكم الرب وينير بصيرتكم لتعرفوا السبيل لتحقيق هذه المهمة.

أيها الأعزاء، مع قرب احتفالات عيد الفصح، نطلب عون الرب وشفاعة السيدة العذراء مريم لنختبر قوة قيامة المسيح فتكون لنا بداية لحياة جديدة.

آمين.

قبل إعطاء البركة

داڤيد بروسبيري. صاحبالسيادة، إسمحوا لي أن أعرب لكم عن شكرنا العميق من جميع أعضاء أخويتنا. يملؤنا شعوراً عظيماً بالامتنان، لأنكم وافقتم هذا العام أيضاً على مرافقتنا في هذه الرياضة الروحية التي تمثل الأهم بالنسبة لنا طوال العام. إننا نعي تماماً التضحية التي يمثلها هذا الأمر في الوقت الحالي، نظراً لدوركم ككاردينال كقائم بأعمال الكنيسة، نظراً لتعرض قداسة البابا لظروف صحية صعبة وهو يتعافى منها الآن، نشكر الله. ومن هذا المنطلق، يزداد شكرنا لكم بشكل خاص، لأنكم لم تتخلوا عن مشاركتنا هذا الحدث الهام.

قبل لحظات قليلة، قلتم لنا في عظتكم بأن «الله لا يتدخل ''عن بُعد'' أو ''من فوق''»، بل «اختار طريقًا آخر»: «لقد ''منحنا [...]'' القرب والشركة». وها نحن، نشعر بهذا القرب بقوة شديدة من خلال حضوره معنا هنا هذا العام أيضاً؛ ونختبر مرة أخرى المحبة التي تَكِنُّها الكنيسة لنا بالطريقة التي ترافقنا بها في طريق الاهتداء إلى المسيح والذي يدعونا إليه قداسة البابا باستمرار، وبشكل وثيق جداً أيضاً. أفكر أيضاً في المقال الذي رغبتم في كتابته بمناسبة الذكرى العشرين لرحيل الأب چوسَّاني، والذي يذكرنا بالضبط بالنعمة التي تلقيناها جميعاً، ليس لأنفسنا فقط بل لخير الكنيسة والعالم.

إن أبوتكم هذه تؤكدنا في المهمة التي تواجهنا في العالم: وليس لدينا هدف آخر سوى أن نكرس أنفسنا لمجد المسيح ولما تطلبه منا الكنيسة. أستعير كلمات آنَّا ڤيركور، التي

استشهد بها صياح اليوم المونسنيور باكُّوزي: «ما قيمة العالم مقارنة بالحياة؟ وما قيمة الحياة إن لم نبذلها؟ ولماذا نتعذب بينما الطاعة بسيطة جداً؟». لذلك، أعهد لكم يا صاحب السيادة بطلب إبلاغ تحياتنا الأكثر دفئًا وتمنياتنا بعيد فصح سعيد لقداسة البابا، جنباً إلى جنب مع صلواتنا من أجل شفائه العاجل، على أمل أن نتمكن من مقابلته قريباً. وشكراً جزيلاً، يا صاحب السيادة.

الكاردينال فاريل. أود أن أغتنم هذه الفرصة لأشكر الحركة التي أسسها الأب چوسَّاني. وأعتقد أن الكثيرين منا، وأنا أتحدث أيضاً عن أعضاء الأخوية، لا ندرك أهمية الحركة في هذا الوقت. إذ نرى العالم مليئاً بالحروب والعنف والكثير من الأشياء السيئة.

والطريقة الوحيدة لتغيير هذا العالم هي من خلال الإنجيل: أن نفعل ما فعله المسيح وكيف فعله. يجب علينا، في صلواتنا، أن نفكر دائماً فيما فعله المسيح في حياته. وأن نفكر أن علينا أن نفعل الشيء نفسه في هذا العالم. فعندما ألتقي بأساقفة العالم ويتحدثون إلي دائماً عن المشاكل في أبرشياتهم، بالطبع، لكنهم يسألونني أيضاً عما يجب زيارته في روما وما هي الكنيسة الأكثر أهمية التي يجب رؤيتها، إلى جانب كنيسة القديس بطرس. أجيب دائماً – وهذا ليس فكراً كاثوليكياً جداً – بأن عليهم أن يقضوا صباحاً واحداً على الأقل في المنتدى الروماني ويفكروا أن روما، قبل ألفي عام، لم تكن مدينة دينية جداً. بل كانت واحدة من أكثر الأماكن فساداً في العالم.

لكن بعض المسيحيين وصلوا، ربما عشرون أو ثلاثون شخصًا، ويكتب مؤرخو التاريخ الروماني، مثل كاسيوس [Cassio] : كيف يمكن التعرف على المسيحيين في مدينتنا؟ من طريقة تعاملهم مع بعضهم البعض.

لقد كانوا مسيحيين علمانيين قَدِموا من شمال إفريقيا، ووصلوا إلى روما وقاموا بهداية الجميع. ومن ثم نرى أن كلمة الله – التي انتشرت أولاً بفضل هذه العائلات التي وصلت إلى المدينة، وليس بفضل بطرس وبولس اللذين جاءا لاحقاً – تعلمنا أنه يجب علينا أن نفعل الشيء نفسه تماماً. هذه هي عظمة دعوتكم: أن تُعلِّموا العالم كله، بدون استخدام الكلمات كثيراً في أغلب الأحيان، بل بشهادة الحياة.

هذه هي الدعوة التي لديكم: تغيير العالم بتقديم شهادة للقيم التي علمنا إياها المسيح في الإنجيل. وأشكركم على كل ما تفعلونه.

فكروا أنه يوجد اليوم أكثر من ٢٠ ألف شخص هنا. وإذا وجد كل واحد منا ثلاثة أشخاص وتمكن من مساعدتهم على تغيير أسلوب حياتهم، ثلاثة أشخاص فقط، فسيكون لدينا أكثر من ٦٠ ألف شخص يعيشون الحياة المسيحية. أشكركم. وإلى الأمام!

صباح الأحد ١٣ إبريل ٢٠٢٥

موسيقى ولثجانج أماديوس موتسارت
كونشرتو ثلاثي لألة الكلارينيت بمقام لاَ ماچور مصنف ك٦٢٢
ألفريد برينز، كلارينيت
أوركسترا ڤيينا الفيلهارموني بقيادة كارل بوم

صلاة التبشير الملائكي

صلوات التسابيح الصباحية

ستيفانو ألبرتو [Stefano Alberto] . نرحب بصاحب النيافة أسقف مدينة ريميني، مونسينيور نيكولوُ أنسيلمي [Mons. Nicolò Anselmi] ، الذي حضر ليحيينا.

مونسينيور نيكولوُ أنسيلمي [Mons. Nicolò Anselmi] . شكراً. سآخذ ثلاثين ثانية من وقتكم لأشكركم على وجودكم هنا، وعلى ما تفعلونه في أبرشياتكم، وفي كنائسكم، وفي مجتمعاتكم، وأتمنى لكم أسبوعاً مقدساً مثمراً. يبدو من المناسب أن أقول لكم هذا في عام اليوبيل وفي هذا الفصح المميز للغاية، الذي يحتفل به إخوتنا الأرثوذكس في نفس يومنا. في هذه الرياضة الروحية حول موضوع المحبة، أتمنى لي ولكم أن نكون، وفقاً لارشادات قداسة البابا، حجاجاً للرجاء. ورجاؤنا هو أن تنتصر المحبة. وأن يغمر الحب والسلام وحضور الله – وهو الحب – قلوب الجميع ويلمسها، وأن نتمكن من بناء عالم من الحب والسلام حيث نعيش، وعلى مستوى الكوكب أيضاً، كما تصوره الله لنا جميعاً. أتمنى لكم رياضة روحية مقدسة ومثمرة. عيد فصح سعيد عليكم جميعاً. وشكراً لكم مرة أخرى، وعودة سالمة. وتحياتي أيضاً لأساقفتكم.

الإجتمـــاع العـام

داڤيد بـروسـبيري [Davide Prosperi] . لـقد وصـلنا إلى اللحـظة الأخيرة مـن هـذه الرياضة الروحية. وقد وردتنا العديد من الأسئلة، وكثير منها يتقارب عند نفس النقاط؛ لذلك لم يكن من الصعب للغاية تحديد تلك التي تسمح لنا باستعادة بعض المقاطع الأساسية مما استمعنا إليه في هذه الأيام.

مونسينيور چوڤانِّي پاكوزي [Mons. Giovanni Paccosi]. أود أن أضيف بأننا تلقينا أيضاً أسئلة حول مواضيع شخصية جداً، طُرِحت بشكل خاص بعد درس بعد ظهر يوم السبت. سأحاول الإجابة عليها شخصياً قدر الإمكان في الأشهر القادمة.

هل يمكنكم توضيح العلاقة بين الكذب والشر بشكل أفضل؟
ماذا يعني أن الشر ينبع من نسيان اللقاء؟
ماذا يعني نسيان اللقاء من الناحية الإختبارية؟

مونسينيور چوڤانِّي پاكوزي. أبدأ من الجزء الأول: العلاقة بين الكذب والشر. في كتاب ''ثورة الذات''، النص الذي أشرت إليه في الحديث عن هذه الأمور، أدعوكم لمراجعته، خاصة ذلك الفصل من الرياضة الروحية عام ١٩٧٠ الذي يقول فيه الأب چوسَّاني أن الشر هو الكذب، والشر كذب. وأبو الكذب هو الشيطان. أين يكمن الكذب؟ فكروا في آدم وحواء، في صورة الفصل الثاني من سفر التكوين: إنه سر الخطيئة الأصلية، التي لا يمكن تفسيرها. ما هي تجربة الشيطان؟ والشيطان هو الذي يُقسِّم؟ إدخال انقسام بين آدم وحواء والله – ثم بين الرجل والمرأة – بين الجزئي والكلي. هذا هو الكذب. تقول الحية: «''أَحَقّاً قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟'' فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: ''مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلَّا تَمُوتَا''. فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: ''لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ''».[١٦٩] أين يكمن الكذب؟ في فصل الجزئي الذي هو آدم وحواء عن الكلي الذي هو الله. هذا يعني فقدان الوعي الكامل بالثقة بأننا خُلقنا من العدم، وبأننا محبوبون إلى درجة الألفة والرفقة اليومية. ويعبر نص التكوين عن ذلك بالصورة

[١٦٩] تك ٣: ١ – ٥

الجميلة أي صورة «الرَّبِّ الإلهِ وهو يَتَمَشَّى في الجَنَّةِ عِندَ نَسيم النّهار»[١٧٠] معهم؛ كانت خبرة الألفة مع الله. إن فصل الجزئي عن الكلي هو كذب. هذا ينطبق علينا أيضاً: الخطيئة دائماً كالبقاء في الجزئي ووضعه مكان الكلي، ولذلك هي كذب. الشر كذب، الشر عدم انتماء، الشر هو تكوين حكمنا على الحياة والواقع بمعزل عن الذي جاء للقائنا ويحبنا؛ الشر، كما قلنا أمس، هو وضع أنفسنا، مشروعنا مكان الله. يبدو لنا أننا نطبق معيارنا، لكن حتماً – كما قال الأب چوسَّاني – بما أننا لسنا الله، نتبنى معيار العالم. لذلك هو كذب. العالم في الكذب، يقول يسوع في الإنجيل. التحرر من هذا الكذب هو اللقاء، المسيح الذي دخل حياتنا جاعلاً إيانا نفهم أن شموليته تُعبِّر عن ذاتها بالمحبة لي، ولعدمي. إذن في العلاقة مع هذا الحضور فقط أرى كل شيء ضمن الأفق الحقيقي، أي في مكانه داخل تدبير الله العظيم. ومن الناحية الاختبارية فإن نسيان اللقاء هو هذا: كأن المسيح لا علاقة له بالأشياء التي نفعلها كل يوم، مرات كثيرة. لنسأل أنفسنا: ما الذي يقودنا في الحكم الذي نعطيه فعلياً، يومياً، في العلاقات، في طريقة استخدام الوقت، والعمل، وفي طريقة فعل كل شيء؟

داڤيد بروسبيري. يبدو لي أنك قد شرحت ذلك بشكل واضح جداً. بينما كنت تتحدث، فكرت أن تطبيق مبدأ الشر ككذبة، والذي يخصنا جميعاً عن قُربْ، سواء كرفقة أو في خصوصية العائلات والعلاقات، يمس جانباً آخر كنت قد قدمته مساء يوم الجمعة، أي الفرق بين الشر والألم. أتحدث عن المعاناة التي نشعر بها عندما نختبر الانقسامات. وهذا يمكن أن نشعر به بشكل خطير أكثر حتى داخل جماعة أو في الحركة كما هي. إذن الشر لا يَكمُن في التعب أو الألم الذي نشعر به بسبب نقص الأشياء لأن هذا سيحدث دائماً، لأننا لسنا كاملين . ولكن في الكذب، أي في حقيقة أن أحدهم ينظر إلى الآخر، كما قلت، بنسيان ما يجمعنا حقاً، لأن شيئاً آخر يسود، يسود شيء آخر بيننا: وجهة نظرنا.

إن الكذب هو الشيطان بعينه، إنه الفاعل الذي يُفرِّق، ويَصرِف بصرك عن كل ما يُوَحِّدنا والذي لم يكن نِتاج إنجازنا نحن: بل بالآخر الذي جَمَّعنَا سوياً. ومن المفارقات أن الكذب يتسلل إلينا حين ظن أننا نؤكد الحقيقة، وباسمها نُحَطِّم تلك الوحدة التي هي أصل وأساس وجودنا المشترك.

«لقد عَرَّفْتَ المحبة بأنها إحتياج إنساني. ولكن لا يبدو لي أن الأمر كذلك في خبرتي الحياتية. هل يمكنك توضيح هذا التناقض؟»

داڤيد بروسبيري. سيكون من المثير للاهتمام الرجوع إلى يوم بداية العام ٢٠٢٣، لإعادة تسليط الضوء على ما يعنيه لنا وكيف وصلنا لفهم ماهية الخبرة في تعليمنا. لنبدأ من المستوى الأكثر أولية، والذي أعتقد أنه يخصنا جميعاً. هل ما يقوله صديقنا أو

[١٧٠] تك ٣: ٨

صديقتنا صحيح حقاً، إذا نظرنا إلى عمق خبرتنا؟ فعندما يشكرك أحدهم، هل تشعر بالرضا أم تظل غير مبالٍ أو حتى تغضب؟ وعندما تفعل الخير، وعندما تُعطي نقوداً لمتسول، وعندما تُساعد محتاجاً، ولا يشكرك، هل تشعر بالرضا؟

ماذا حصلت في المقابل؟ لنسأل أنفسنا لماذا حتى الأشخاص الذين قد لا يُظهرون تدينهم مستعدون للقيام بأعمال خيرية – لنتذكر بعض نجوم هوليود: لماذا يفعلون ذلك؟ أتذكر أنه عندما توفي آيرتون سينا [Ayrton Senna] ، ظهرت جوانب عديدة من قصة حياته. لقد كان شخصية رائعة حقاً بالنسبة لي. بصراحة، بما أنني كنت من مشجعي فيراري، لم يكن في البداية محبباً جداً لي، ولكن بعد أن عرفته أدركت قيمته الإنسانية، بالإضافة إلى قيمته الرياضية. فقد أسس مؤسسة لمنح الفرص للأطفال في الأحياء الفقيرة بالبرازيل، بلده الأصلي. لماذا كان يفعل ذلك؟ ليعيد ما منحته إياه الحياة، ليعيد شيئاً مما تلقاه، حتى يتمكن الآخرون من الحصول على الفرص التي حصل عليها هو. الآن، عندما نتحدث عن المحبة يجب علينا (وأعتقد أن هذا أصبح واضحاً للجميع هذه الأيام) أن نمحو ذلك الشعور الآني بحب فعل الخير للآخرين أو الكرم البسيط الذي نُعَرَّفْ به. فالمحبة هي الحب. والحب المقصود ليس عطاء للآخرين فقط، بل قبل كل شيء كما يتلقاه كل واحد منا. وكما يعلم الكثيرون بفقداني لأبي وأنا طفل صغير. ويُعدُّ هذا الأمر، من وجهة نظر معينة، خبرة قاسية لنفسية الطفل، فهو يُمثِّل انقطاع الرابط الأساسي الذي يقود الطفل إلى علاقة سوية بالواقع. فالأب هو ذلك الرابط، لأن الطفل يتعلم فنَّ التعامل مع الحياة بمحاكاة من أنجبه، لا بالتوجيه المباشر حول كيفية التواجد في هذا العالم. وقد أدركتُ، بطريقة لا واعيا بطبيعة الحال، موت والدي كأن شيئاً ما قد اِنتُزع مني. فماذا يفعل الطفل حينها، لا سيما ذلك الذي يترعرع في كنف عائلة مسيحية. فقد كانت أمي على الدوام إمرأة تقية ومؤمنة. إنه لا يقبل فكرة أن الله شرير، بل يعتقد بأن: «لقد فقدت أبي، لأني أنا الشرير، فلابد أنني مذنب في نهاية الأمر ولا أستحق أن أكون كبقية الأطفال». يقول يسوع: «فإذا كُنتُم أنتُمُ الأشرارَ تَعرِفونَ كيفَ تُحسِنونَ العَطاءَ لأَبنائِكُم، فكَمْ يُحسِنُ أبوكُمُ السَّماويُّ العَطاءَ للَّذينَ يَسألونَهُ؟».[١٧١] وهنا، بدأتُ وأنا طفل صغير أن أضع ثقتي في وعد يسوع هذا: الوعد بحب لانهائي. وبدأت أطلب. ولم تكن لي القدرة على إدراك تَحقُّق ذلك، ولم أكن لأتخيل قط ما كانت تُخبِئُه لي الحياة. وقد كان لقائي بالحركة هو الشرارة الحقيقية لبداية تَحقُّقْ ذلك الوعد. وهكذا، بمرور الأيام، ووسط الكثير من العناء والصعاب والضعف، بدأ كل شيء يتجلى ويصير قصة . لنعد إلى ملاحظتنا الأولية: « لا يبدو لي أن الأمر كذلك في خبرتي الحياتية». في الحقيقة، المحبة هي ضرورة جوهرية، فبدون هذا الحب لا سبيل للعيش. بدون هذا الحب، لا يمكن للإنسان أن يحيا حقيقةً كانسان. وعندما يفتقر الانسان لهذا الحب، عليه أن يطلب المزيد منه! وأن يضاعف رهانه على الوعد الذي يتوق إليه قلبنا والذي وهبه لنا أَحدٌ ما عبر التاريخ.

---

[١٧١] مت ٧: ١١

برز مراراً في درس صباح السبت، الارتباط بين المحبة وشخص يسوع المسيح. وبما أن هذا الارتباط يبدو لنا حاسماً، نرجو إمكانية التعمق في هذا الجانب بشكل أكبر.

ماذا تقصد عندما تقول بأننا نكتشف المحبة متوافقة، لكننا لا نستخلصها من الخبرة قبل اللقاء؟ و نندهش أحياناً عندما نرى أشخاصاً، لم يلتقوا بالمسيح قط، يقومون بأعمال مجانية استثنائية. ما الذي ينقص تلك الأعمال مقارنة بالمحبة التي تنبع من اللقاء بالمسيح؟».

مونسينيور چوڤانِّي پاكوزي. أبدأ من هذا الجزء الثاني للسؤال. أن نحب وأن نكون محبوبين: هذا ما تخبرنا به الأغاني التي استمعنا إليها؛ فالأغنية الأخيرة لا تتحدث عن يسوع، بل عن خبرة حب تُمَكِّنْ الانسان من أن يجد مكانه في الواقع.[١٧٢] ومع ذلك، إذا فكر الانسان في الأمر، فإن الخبرة الموصوفة في الأغنية غير كاملة، لأن عيون تلك الفتاة، التي تُمَكِّنْ المرء من البقاء بدلاً من الاستمرار في البحث هنا وهناك، ليستا أبديتين. فليست في أيدينا إمكانية الاستمرار في إنارة الحياة بهذه الطريقة بحب يجعل من الممكن قول «أنا». إنه أشبه بتلميح، أو تَطلُّع، يكتشفه الانسان في خبرة الحب، مما يجعله يستشف، كما يقول الأب چوسَّاني في الفقرة الأولى من كتيبه عن «معنى أعمال المحبة»، أن عطاء ذواتنا، أو بالأحرى، «الاهتمام بالآخرين» هو جزء من كياننا، وهو قانون الحياة. وهناك قوانين لها غرض خاص، مثل قوانين المرور، ولكنها ليست قوانين بنيوية، خاصة بالإنسان. فعندما لم تكن هناك سيارات ومركبات، لم تكن هذه القوانين موجودة، لكن قانون الحياة هو قانون بِنْيوَي للإنسان في ذاته. والاهتمام بالآخرين هو قانون، تماماً مثل الأكل والشرب والنوم: فإذا لم يأكل المرء ولم يشرب ولم ينام، يموت. وهكذا، إذا لم يكن المرء محبوباً وإن لم يُحِب، يموت. يموت! إنها واحدة من الأشياء التي نختبرها: فالموت الداخلي للعديد من الأشخاص من حولنا، غير المحبوبين و العاجزين عن الحب، وعن الثقة، وبالتالي عن الحب. لماذا هو قانون للوجود؟ لأن الله خلقنا هكذا. لاحظ جيداً: إننا لا نتحدث هنا عن السخاء العفوي الذي قد يكون لدى المرء أو لا. فعندما كنت صغيراً، كنت أتعجب عندما كانوا يعطون قطعة حلوى لابن عمي ليوناردو (الحاضر معنا هنا)، وهو كان يعطيها كهدية لشخص آخر. كان يفعل ذلك بعفوية، وكنت أقول: «يا إلهي، يا له من كرم!». يرى أي منا أناساً لا يعرفون المسيح (ولكن في يوجد قلوبهم التطلع والرغبة) ويقومون بأعمال كرم وعطاء، نقف أمامها مندهشين.

لكن يوضح الأب چوسَّاني بأن المحبة شيء آخر، لأن «المحبة [...] لا يمكن استنتاجها مما يختبره الإنسان». وقد قلت ذلك منذ البداية، في بداية هذه الرياضة الروحية: كنت أخشى قليلاً التحدث عن المحبة، لأنها شيء نعتقد أننا نعرفه بالفعل ولكننا في الواقع لا نعرفه، ولا نكتشفه إلا بالنظر إلى يسوع. يقول الأب چوسَّاني في الاجتماع العام حول كتاب «هل يمكن العيش هكذا؟»: «أي شريك، وأي لقاء يمكن أن يبرر العطاء الكلي

---

١٧٢ «قد أسير تائهاً، ألف ميلٍ أو أكثر / دون أن أجد النورَ الذي رأيتُه في عينيكِ من قبل / أعطيتِني حرية أن أسلكَ طريقي / لكنَّكِ أعطيتنِي أكثر من ذلك، إنك أعطيتني حرية البقاء»؛ و. چينينجز، «حرية البقاء»، من ألبوم «وحيد وعنيد وقاسي القلب»، ١٩٧٣، RCA Victor ©

للذات [وهو المحبة]؟ إذا قال أحدهم: ''إذا قابلت فتاة جميلة، جميلة جداً لدرجة أنه لا توجد أجمل منها، لكان من الصحيح أن أقول: «يا سيدتي! يا آنستي، أكرس حياتي لكِ'': مثل كلب مربوط بسلسلة! لكن الأمر لا يتعلق بآنسة جميلة تذبل بعد أربع سنوات و''يجب أن نقرأها بين التجاعيد''، كما يقول كليريتشيتي [Clericetti] في أحد تعبيراته الأكثر حزناً». ثم يضيف: «لو أن [...] الله – الجمال الحقيقي، كما وصفه ليوباردي Leopardi ،ومصدر كل جمال – صار إنساناً، فمَن هو ذلك الإنسان الذي يستحق كل هذا الانتباه لدرجة أنه يوقظ فينا دهشة عميقة تدفعنا لأن نُكَّرِس له حياتنا؟ هل يمكن أن يكون هناك أحد يستحق ذلك أكثر من هذا الإنسان؟» هذا ما اختبره به بعض الناس وهم ينظرون إلى المسيح؛ بالنظر إليه، تبادر هذا إلى ذهنهم! إن أول موضوع للمحبة، كعطاء للذات وكمشاعر وجدانية... لأنه شعور وجداني أن تدرك أن هناك في وسطنا انسان هو الأجمل في العالم [...]. وليس الجمال الأعظم فقط الذي صار إنساناً، والذي يمكن أن يلتقي به أي انسان في الطريق، ويبقى معنا كرفيق كل يوم... بالإضافة إلى الجمال، عنده صلاح وخير من شأنه أن يعطي حياته من أجل البشر، ومن أجلي، وكما يعطي حياته من أجلي، يعطيها من أجلك أيضاً». [١٧٣]

ويقول لنا في نقطة آخرى: «أن نقول إن المسيح مات من أجل البشر، فهذه كلمة مُجرَّدة». لكن في الحقيقة، هو «بذل حياته من أجلي، ومن أجلك، وحتى من أجل سائق الترام الذي لا أعرفه، ومن أجل الجندي الألماني الذي قتل أعضاء المقاومة في مذبحة حُفَرْ أردياتين: إنه يبذل حياته من أجل الجميع. فمن جهة، أول محبة هي له؛ ومن جهة أخرى، هذه المحبة له تجعلنا نحب كل إنسان: فكل إنسان يثير فينا التعاطف أكثر»، [١٧٤] أي أننا نشعر به كأنه جزء منا، كأخ لنا، فنشعر بدافع للعطاء، والانتباه إلى احتياجه، والرغبة في أن يصل إلى مصيره، ويصبح هذا المصير أعظم بكثير لأنني التقيت المسيح.

لقد ذكرتُ السنة الماضية عظة للبابا بنديكتوس السادس عشر ليلة عيد الفصح، قال فيها إن قيامة المسيح – أي وجوده الدائم بيننا وانتصاره على الشر والكذب والموت – هي «نقلة نوعية في تاريخ ''التطور''». [١٧٥] ومن يلتقي المسيح ويسمح له بأن يدخل حياته، يعيش خبرة جديدة، تتجاوز الخبرة الإنسانية، وتُكمِّلها، وتُعلِّمنا أن الله خلقنا لنُحِب ونُحَبْ – هكذا أرادنا الله –، وتجعلنا قادرين أن نُحِب مثله، وندخل في علاقة حميمة مع الله. فالمسيح يخلق فينا دائماً، حتى لو لم نكن بطبعنا كرماء وأسخياء، القدرة على أن نبذل أنفسنا، وهي قدرة ما كانت لتكون لولاه. فهذا العطاء هو الهبة التي نلناها، ونحن مدعوون لأن ننقلها للآخرين، «ليس بالكلام دائماً، بل بشهادة الحياة»، كما قال لنا الكاردينال فاريل بالأمس.

---

[١٧٣] الأب لويجي جوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، الصفحات ٣٢٢، ٣٥٦ – ٣٥٧

[١٧٤] نفس المرجع السابق، الصفحات ٣٧٧ و ٣٥٧

[١٧٥] البابا بنديكتوس السادس عشر،عظة عشية عيد الفصح، ١٥ إبريل ٢٠٠٦

ما معنى أن عمل المحبة هو فعل تربوي؟ ما الخصائص التي تجعله كذلك؟ هل يجب أن تقترحه الحركة، أم يمكن أن يكون تلبية لاحتياج قائم وكفى؟ في جماعتي يحدث بالضبط كما تم وصفه على أنه خطأ في درس صباح السبت: إن ما يُطلق عليه "عمل المحبة" هو عمل مجاني يختاره كل واحد منا، كأن يزور شخص مريض. وغالباً ما تكون هذه أعمالاً شخصية وفردية. هل يمكن توضيح ما الذي يميز عمل المحبة؟

داڤيد بروسبيري: لقد أدهشنا إلى حد ما - وأقول ذلك دون استغراب - كثرة الأسئلة حول معنى عمل المحبة. ولهذا السبب وجدنا من المفيد أن نوضح مرة أخرى، لا سيما بين البالغين، معنى هذا العمل.

إذا تذكرتم، في المساء الأول اخترنا شهادة أصدقائنا في كوبا كمثال على القيام بالعمل الخيري: إذ لديهم ساعتان أو ثلاث ساعات فقط من الكهرباء يومياً، ومع ذلك لا يَتخَلُّون عن هذا العمل، حتى وإن كان ذلك يعني خسارة تلك الساعات، لأن المشاركة في عمل المحبة بالنسبة إليهم أهم من الكهرباء نفسها - هذه كلماتهم بالضبط -. أعتقد أن في ذلك تذكيرًا قوياً لنا جميعاً. وكالعادة، من يعيش الحاجة بعمق يكون أكثر قدرة على تمييز ما هو جوهري حقاً. ومن خلال هذه الشهادة، نحن مدعوون إلى اكتشاف القوة التربوية للعمل الخيري، بل لجميع أعمال الحركة. أحياناً ننظر إلى هذه الأعمال بشيء من الشك، كما لو كانت أشياء صالحة فقط لفترة الشباب، عندما كنا في "شبيبة الطلبة"، أما الآن فلا: فحياة البالغين تصبح معقدة أكثر فأكثر، ويمتلئ وقتنا بأمور أخرى، فنُبرِّر في النهاية عدم التزامنا بالقيام بهذه الأعمال، إلى أن ينتابنا أحياناً شعور بالذنب، وكأننا نخون الثقة التي أعطتها لنا الرفقة والصحبة. ولكن ليس هذا هو الموضوع. فالأمر لا يتعلق فقط بأعمال الخير أو المساهمة في الصندوق المشترك — وسنتحدث عن هذا لاحقاً — بل عن كل عمل نقوم به، مثل قراءة كتاب الشهر. فكل هذه الأمور تساعد على تعليمنا وتكويننا.

نتوهم أحياناً أن بمقدورنا الوصول إلى وعي ذاتي جديد - جملة تتكرر على مسامعي في الاجتماعات التي أحضرها - بمعزل عن أي تجسيد مادي، وبعيداً عن واقعية الأفعال. نحسب أن مجرد أقوالنا تكفي، إلا أن الوعي الذاتي الجديد لا يولد إلا من خلال وفائنا للأعمال المقترحة، ومعه تتاح لنا الفرصة لتخطي تلك النزعة الروحانية التي تعزلنا تدريجياً ليس عن الأعمال فقط، بل عن الصحبة ذاتها التي نشترك فيها جميعاً. إن الأعمال المقترحة هي من أجلنا، من أجل هدايتي الشخصية وهدايتنا الجماعية اليوم. لذلك لا ينبغي أن نعتبرها كمسلَّمات. ولنمعن النظر في عمل المحبة، ولنسع جاهدين للقيام به بقدر الإمكان، ففي هذا الوفاء تَكْمُن قيمته الحقيقية.

إذن، كيف نكتشف القيمة التعليمية لعمل المحبة؟ أولاً وقبل كل شيء، من خلال ممارسته. إذ يَنُص التوجيه المنهجي الثاني في كتاب "معنى عمل المحبة" على: «القيام

بالعمل لفهمه . فحتى تستوعبه، لا يكفي أن تعرفه؛ بل يجب أن تقوم به».[١٧٦] إن لم يكن واضحاً لك لماذا نقوم بالعمل الخيري؟ ابدأ بممارسته! ثانياً، أدعوكم دائماً لتذكر كتاب «معنى عمل المحبة»، الذي يوضح فيه الأب چوسَّاني بإيجاز الأسباب الكامنة وراء هذا العمل. فهو ليس مجرد فعل سخي ولا مساعدة الآخرين ولا هو مجرد تطوع أو فعل الخير للآخرين. إنها، فوق كل شيء، وسيلة لتربية أنفسنا على المحبة – وبالنسبة لمن يمارسها، تصبح مساراً لتعلم المعنى الحقيقي للمحبة. يجب أن نكون متواضعين بما يكفي للاعتراف بأننا لا نعرف كيف نحب بصدق. أحياناً ندرك هذا بشكل مؤلم في أقرب علاقاتنا؛ وفي أحيان أخرى نتجاهله ببساطة. لكنه صراع دائم – كما تقول أغنية كييفو [Chieffo] : «أود أن أحبك / كما يحبك الله».[١٧٧] نحن بحاجة للتعلم. هذا هو الهدف من عمل المحبة: أن نتعلم أن نحب كما يحبنا الله. «نحن نمارس عمل المحبة لنتعلم كيف نعيش مثل المسيح».[١٧٨]

وبخصوص الجزء الثاني من السؤال، سألخص بعض النقاط الأساسية لتجنب أي التباس (دون الدخول في تفاصيل حول ما نتفق وما لا نتفق عليه). يجب أن نضع في اعتبارنا ثلاثة مبادئ إرشادية أساسية على الأقل، لأنه، كما ذكرتنا صديقتنا إنجريد من جواتيمالا، فلا يتساوى كل شيء.

أولاً، عمل المحبة هي مُقتَرح جماعي، يقوم بطرحه المسئول عن قيادة الجماعة. وليس شيئاً تختاره ببساطة بمفردك. إذ يجب عليك التشاور مع المسئولين داخل الجماعة على الأقل. «الاخلاص في الثقة في توجيهات الحركة وقادتها هي الفضيلة الأولى التي ستُؤتي ثمارها».[١٧٩]

ثانياً، المكان الذي نتحقق فيه من الخبرة المعاشة هي الجماعة. ففي داخل الجماعة نساعد بعضنا البعض على تقييم ما نعيشه ونختبره ونواجه ما فيه من صعوبات: «الرجوع دائماً إلى قيادة الحركة، وإلا فإنك تخاطر بفقدان المعنى الأعمق الذي يدفعنا للعمل من أجل الآخرين».[١٨٠]

ثالثًا، من المفيد تخصيص وقت لمساعدة بعضنا البعض في تقييم عمل المحبة أثناء مدرسة الجماعة، فبهذه البادرة ينمو في كل منا وعي بالحياة كشركة: «سوف نحتاج للمشاركة في الحوار أثناء اجتماعاتنا، وفي مجموعاتنا صغيرة، ومع مسؤولي الجماعة ومع الذين هم أكثر نضجاً وحيوية. والأهم من ذلك كله، يجب أن نقوم بإعادة تقييم أنفسنا بشكل دوري من خلال التواصل مع ''المركز''».[١٨١] ومن الضروري أن تنبع هذه البادرة ويتم

---

[١٧٦] الأب لويچي چوساني، «معنى عمل المحبة»، مرجع سبق ذكره، ص ١٤
[١٧٧] كلاوديو كييفو، «رقصة الحب الحقيقي»، كتاب الترانيم، مرجع سبق ذكره، الصفحات ٢١٦ – ٢١٧
[١٧٨] الأب لويچي چوساني، «معنى عمل المحبة»، مرجع سبق ذكره، ص ٧
[١٧٩] المرجع السابق، ص ١٣
[١٨٠] نفس المرجع السابق ونفس الصفحة
[١٨١] نفس المرجع السابق، ص ١٤

الحكم عليها داخل حياة الجماعة، الذي هو الكيان التربوي حتى للبالغين وليس للشباب فقط، لأن البالغ لا يمتلك مسارات الحياة مرسومة أمامه سلفاً.

«ماذا يعني أن تضحيتنا لا تحمل قيمة إلا في علاقتها بتضحية المسيح؟ لقد ذكرت أن تقديم تضحيتنا قد يساعد شخصاً بعيداً عنا. كيف لا يبقى هذا مجرد فكر مجرد؟»

مونسينيور چوڤانِّي پاكوزي. بالأمس، انطلقت مما قاله الأب چوسَّاني، وهو أن التضحية أمر لا يُطاق؛ هي جزء من الواقع، لكنها تبدو لنا ظلماً. نقوم بالكثير من التضحيات في حياتنا اليومية، وأفكر هنا، على سبيل المثال، في من يجد نفسه مضطراً لمواجهة الألم والمعاناة، وما يترتب على ذلك من تضحيات جمة ليس فقط على الشخص المتألم، بل وعلى من حوله. فباختصار، «التضحية» كلمة لا يمكن لنا إزالتها من حياتنا. ومع ذلك، وكما أشَرتُ مستنداً إلى استطلاع الرأي الذي ذكرته سابقاً، يبدو أن هدف الكثيرين اليوم هو محاولة التهرب قدر الإمكان من أي تضحية، وكأن المثل الأعلى هو المتعة الخالصة، لكن من الواضح أنها متعة لا تملأ ولا تُشبِع أبداً. ولكن، منذ أن تجسد المسيح ومات على الصليب، اكتسب هذا الواقع الذي لا يُحتمل قيمة ومعنى لم نكن لنستطيع تصوره: فالتضحية هي جزء من المحبة بل يقول الأب چوسَّاني إنها «شرط». إن قانون الحياة، كما قلنا، هو المحبة أي الحب الذي نمارسه بطريقة دينامية في التضحية: فحب الآخر لا يمكن التعبير عنه دون التنازل عن الامتلاك الفوري، وبدون بذل ذواتنا الذي يصبح ذا معنى فقط بالنظر إلى المسيح. فقد اختار الله نفسه التضحية كطريق بتجسده في صورة انسان، حتى لو بدا لنا ذلك غير مفهوم، وقَبِلَ تضحية الصليب. ويكتب لنا الأب چوسَّاني: «أولاً وقبل كل شيء لا يمكن أن نقول لله: ''أنت على خطأ!''». من هو الإنسان الذي يجرؤ أن يقول لله: ''أنت على خطأ!''».[١٨٢] أنا، الذي احتواني عناق المسيح، بدأت أختبر أن تضحيتي المتواضعة، إذا ما اتحدت بتضحيته العظيمة، تتحول إلى أداة خلاص لي وللآخرين. وهذا هو أيضاً جوهر الإفخارستيا التي نحتفل بها. فما الرابط بين الإفخارستيا، التي هي تضحية المسيح المتجددة لأجلنا ولأجل العالم أجمع، وبين آلامنا اليومية؟ عندما كنت في سنتي الأولى في الإكليريكية، كان الأب ديڤو بارسوتِّي [Divo Barsotti]، الذي أصبح الآن خادم الله، يقوم بتدريسنا دورة في روحانية الطقوس. كان فريداً من نوعه، لدرجة أنني لا أبالغ إن قلت أنني حفظت معظم دروسه عن ظهر قلب، لأنها كانت تفتح أمامنا آفاقًا لا نهائية لفهم الواقع. فعندما كان يتحدث عن القداس، كان يقول لنا: «هل تستوعبون؟ عندما نحتفل بالإفخارستيا [في لحظة التكريس، كان غالباً ما ينهار باكياً ويتوقف عن الكلام، لشدة اندماجه بما يحدث] تزول جميع حواجز المسافة، والزمان والمكان، بيننا وبينه؛ بيننا وبين اللحظة التي صعد فيها يسوع على الصليب، اللحظة التي مات فيها وقام، نجد أنفسنا هناك، تحت الصليب، نقدم له الخبز والخمر، نقدم له ذواتنا، نقدم له

[١٨٢] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، ص ٣٩٠

آلامنا من عنف الحروب، نقدم له معاناة الكثيرين، الآن. تتبدد حواجز الزمان والمكان وهو يقدم نفسه الآن لنا ويخلص العالم في هذه اللحظة. ويفعل ذلك من خلالنا، نحن الذين نحمل له كل ما يؤلمنا، وهو يفتديه ويطهرّه». دعونا نتأمل في هذه القوة العظيمة!

كيف يمكنني أن أفهم أن تضحيتي الصغيرة يمكن أن تخدم شخصاً في أقصى بقاع الأرض؟ لا يمكن فهم ذلك بطريقة مباشرة، ولهذا كنت أقول، مستشهداً بكلمات الأب چوسَّاني، إن «أساس الموضوع [...] هو الإيمان»،[١٨٣] لأن معرفتنا بمحبة المسيح هي التي تمنحنا إحساساً بالراحة وتجعلنا ندرك أن القليل الذي نعانيه، إذا ما توحد بمعاناة يسوع، يصبح بطريقة سرية، مساهمة في خلاص العالم، وفقاً لتدبير إلهي. والملائكة تدرك ذلك، وسنعرفه نحن، بإذن الله، في الجنة. إن تضحيتي التي تتحد بتضحية المسيح تُسمى «تقدمة»، وبالتالي «حتى تضحيتي بالاستيقاظ في الصباح، وتَحمُّلْ أبي وأمي وزوجتي وزوجي وأولادي... كل ذلك، يصبح خيراً». هل تذكرون القديس بولس؟ «فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ». كنا نتحدث بالأمس عن رؤية الأب چوسَّاني بأن «ذروة هذا التحول في العقلية تكمن في بذل الانسان لحياته. فإذا كان الحب هو الشريعة، فإن تقدمة الذات هي القمة». لذا، لا مجال للتفكير في الموازين والمقاييس: فالتضحية هي أن تهب كل ما تملك، وأن تقدم كل شيء، لمن يهبنا كل شيء. صباح اليوم، هنا خلف المنصة، أراني أحدكم صورة: كان هناك شخص من فريق التنظيم قد حرص على ترتيب أغصان الزيتون التي وجدتموها على المقاعد بعناية فائقة. الآن وقد أخبرتكم، أنتم تعلمون، لكن هذا الشخص لم يفعل ذلك من أجل أن يكشف أمره أحد. فمن كان ليلاحظ هذا العطاء البسيط في ترتيب أغصان الزيتون على ٢٠٠٠٠ مقعد؟ ملائكة الله يعلمون ذلك. حتى هذه التضحية المتواضعة لها قيمتها، لأنها من أجله؛ ولأنها من أجله، فهي تخدم العالم أجمع.

داڤيد بروسبيري: لقد تكرر هذا السؤال كثيراً: ما هو مصير عطائنا؟ وماذا ستؤول إليه تضحياتنا؟ أتذكر عندما كنت صبياً، في أول مرة حضرت فيها الرياضة الروحية لطلبة الحركة الجامعيين، وتم طرح سؤال عن العطاء، فأجاب چان كارلو تشيزانا [Giancarlo Cesana] بقوله: «إن الله ليس سلة قمامة نلقي فيها ما فسد من حياتنا، فيُقدِّم الإنسان ما ساء في حياته». فما هي المشكلة؟ وماذا نقدم نحن حقًا؟ إذا أعطيتك وردة، فأنا لا أقدم لك الوردة فحسب؛ بل أقدم لك ذاتي، أضع حياتي بين يديك، أؤكد اعتمادي عليك كقِوامَ لوجودي، لأنك تهب نفسك، لكنك لا تدري ماذا سيحل بعطاء ذاتك. فقد ترفضني من أقدم لها الوردة، التي أهبها نفسي، وقد تفكر ملياً، وقد تقول: «حسناً... دعنا نرى ... ربما بمرور الوقت». على أي حال، تلك اللفتة تعبر عن وعي الذات كانتماء، وهذا بحد ذاته يبدأ في تغييري. فماذا سيحدث لهذا، مقارنة بمصير العالم؟ أعتقد أن الالتباس يكمن غالباً في تصور العطاء كقدرة ذاتية، بدلاً من كونه إقراراً بالانتماء، أي أنني مُعتَمِد عليك أيها المسيح؛ فأنت صنعتني، وأنا موجود لأجلك، وأنت القادر على كل شيء.

[١٨٣] نفس المرجع السابق ذكره، ص ٣٦٠

وكلما مَضَيتُ قُدُمَاً، أَدركتُ أن العطاء ليس في الأساس شيئاً أقدر على القيام به، لأني لا أستطيع أن أفعل شيئاً، ولا أعرف كيف أفعل أي شيء. فعطائي الوحيد هو استعدادي لأن تفعل أنت، أيها المسيح، ما تشاء بهذا الاستعداد. لأن الفاعل لكل شيء هو الله، لا نحن، ولهذا فمن المنطقي أن نُقدم حياتنا ليفعل بها الله ما يشاء، وأينما يشاء، ومع من يشاء. ومن كان يظن أن تضحية أولئك الذين اتبعوا يسوع بحياتهم ستؤدي إلى كل هذا التاريخ الذي نعيشه اليوم؟ الله هو من يفعل كل شيء.

«قِيلَ أن العفة هي ثمرة المحبة. أرغب في فهم العلاقة بين العفة والبركة المضاعفة (المائة ضعف) بشكل أعمق. لقد ذكرت أن الانتماء بين الزوجين في الزواج يجب أن ينبع من انتمائهم لله. ما معنى ذلك؟»

لقد أدركت إمكانية الانفتاح العميق على موضوع العفة في إطار الزواج، حتى وسط الهجر والمشقة. كيف نتعرف على كلمة «نعم» التي قلناها للمسيح، في الفشل الظاهر للحياة التي نحن مدعوين لنعيشها ؟»

مونسينيور چوڤانِّي پاكوزي: بخصوص الجزء الأول من السؤال، عن العلاقة بين العفة والبركة المضاعفة (المائة ضعف)، هذه خبرة أعيشها بشكل شخصي. فأنا لم أفكر قط في أن أصبح كاهناً، لكن في مرحلة ما من من داخل تاريخ هذه الحركة، سمعتُ تلك الهمسة: «ألن يكون هذا هو طريقك؟» [١٨٤]، فقلت بتردد بعض الشيء: «يجب أن أختبر هذا الطريق». وبعد دخولي الإكليريكية، وعند نهاية سنتي الثانية، كانت هناك مرحلة «الترشح للكهنوت»: حيث يطلب الطالب الاكليريكي من الأسقف قبوله كواحد من المرشحين لسر الكهنوت. لكن هذا الأمر لم يكن منطقياً بالنسبة لي، وكنت أقول: «كيف أطلب أنا أن أصبح كاهناً؟ أشعر بأنني مدعو لذلك، ولكن يمكنني أن أعيش بدونها أيضاً!». لذا كتبتُ إلى الأسقف، الكاردينال بينيللي [Card. Benelli]، وهو رجل عظيم الإيمان: «عزيزي الأسقف [هكذا كتبتُ بالضبط]، يبدو أنني فهمتُ أن الرب يريد مني أن أسلك هذا الطريق. لكنك أنت الأسقف، وعليك أن تخبرني ما إذا كان هذا هو طريقي الحقيقي. لقد كنت راضياً وسعيداً حتى الآن، وإذا قُلْتَ لي إن هذا ليس طريقي، فسأظل سعيداً على أي حال». وعندما كنا نحن المرشحين نصطف للتحدث معه، في لحظة الدخول، جاء الكاردينال بينيللي إلى باب المكتب، ورآني وقال لي: «لقد دعاك الرب! هذه هي دعوتك!». وقد أزال عني بعض الشكوك. أما الشك الأخير – لأنه، أُكرر، لم يكن الأمر وكأنني لم أكن لأحب طريقاً آخر أيضاً – فقد زال من ذهني عندما رُسِمتُ شماساً، ففي تلك اللحظة قلت لنفسي: «إن هذا سر مقدس، إذن هذا يعني أن الله يريد حقاً أن أسير في هذا الطريق».

[١٨٤] في تلك الشهور كنا نقرأ ونتأمل في كتاب «آثار من الخبرة المسيحية» في مدرسة الجماعة، وكان يأسرني ما طالعته في المقطع الذي يتناول الدعوة: «إن ما عليّ أن أقوم به، وما ينبغي أن أكون عليه، ودعوتي، لا تبدو لي في المعتاد كأمر صريح، وإنما كإشارة، وكدعوة. إن الدعوة، التي هي جوهر وجودي، وتتراءى لي أكثر كاحتمال ألمحه منها ولا كقدر محتوم لا مراء فيه. بل إن هذا يزداد صدقاً كلما ازدادت المهمة المنوط بي تحقيقها عمقاً وأهمية. إن الضمير، في أصفى تجلياته وأبهاها، إنه أرق إيحاء: إنه الإلهام. وبهذا فإن قامتي الشخصية أحددها بالانخراط الإيجابي في احتمالات بالغة الرهافة»، (الأب لويجي چوساني، «الطريق إلى الحقيقة هو خبرة»، ريتسولي، ميلانو ٢٠٠٦، ص ١٢١)

ومنذ ذلك الحين، كانت الخبرة حقاً هي خبرة المئة ضعف، كما قال الأب چوسَّاني في النصوص التي ذكرتها. ففي البتولية، لا يركز المرء على ما يتخلى عنه، لأنه كله يتجه نحو عيش العلاقة مع الأشخاص والأشياء كـ «امتلاك بلا تعلق أو تشبث داخلي»،[١٨٥] وهي أصدق وأنسب أشكال الامتلاك - امتلاك كامل ومناسب نُدعى إليه جميعاً - لدرجة أن كل شيء في إنسانية المرء يصبح أكثر قوة، وأبعد بكثير مما يتخيله: المئة ضعف. وهكذا يعيش المرء أبوة، حباً، وداً للآخرين، وإيجابية تتسع لأفق أكبر فأكبر، يشمل وجودي هنا هذا الصباح، ومسؤولية الحركة في أمريكا اللاتينية، وهؤلاء الذين ألتقي بهم في أبرشيتي. فأنا أتحدث عن ما أعيشه، وعن طريقي الشخصي. إنه أكثر من المئة ضعف هنا على الأرض، إن ما اختبره هو الألف لواحد من الجانب الإنساني بالذات. ثم تبقى في داخلي دائماً كل وضاعتي، وعدم إخلاصي، وإضاعتي لعدد لا يحصى من الفرص والعلاقات، وكل الشر والكذب الموجود في داخلي. ولكن ماذا عساي أن أقول لكم؟ المئة ضعف هنا على الأرض هي حقاً الخبرة التي تنبع من امتلاك الأشخاص والأشياء كما كان يسوع يمتلك كل شيء. لقد تذكرنا بالأمس، بكلمات الأب چوسَّاني: «من امتلك مريم المجدلية أكثر؟ هل هو المسيح الذي نظر إليها لحظة وهو يمر أمامها، أم كل الرجال الذين امتلكوها؟». امتلاك بلا تعلق أو تشبث، هذه هي البتولية، وهذا هو المئة ضعف: تحقيق المثل الأعلى لحياة المسيحي وتطلعات كل إنسان.

أحكي لكم واقعة أخرى. قبل عدة سنوات، في إحدى الرعيات الريفية التي كنت فيها، كانت دار الكاهن مُدمَّرة بالكامل. وكانت هناك عائلة لديها نية لإنشاء منزل لاستقبال وإيواء أطفال آخرين، بالإضافة إلى أبنائهم. فشرعنا في هذا المسعى وقمنا بالأعمال، وبدأت هذه الخبرة الجميلة. وفي مرحلة ما، غيرت الرعية ثم ذهبت إلى دولة پيرو في أمريكا اللاتينية. وعندما عُدتُّ بعد ما يقرب من عشرين عاماً، بسبب وفاة إنزا العزيزة [Enza]، أم تلك العائلة، وعند دخولي دار الكاهن تذكرت تلك الجهود المبذولة لإعادة بناء الدار وقلت لنفسي: «لقد بذلت الكثير من الطاقة في هذه الأمور، ولكن لو لم أعد اليوم، لما تذكرت ذلك أبداً. ولكن ما يهم؟» لأنه في المسيح يمكننا اختبار الامتلاك الحقيقي والوحيد للأشياء، حتى تلك التي هي ثمرة عملنا، ولكنها ليست ملكنا في نهاية المطاف أبداً.

ماذا يعني أن الانتماء بين الزوجين يجب أن ينبع من الانتماء إلى المسيح؟ أكرر باختصار ما أجاب به الأب چوسَّاني في المقابلة مع الأب سيكاري التي استشهدت بها بالأمس: إن الزواج هو عطاء نهائي للذات للشريك الآخر، ولكن لن يكون من المعقول ربط مصيري بالكامل بالشريك الآخر لو لم يكن هناك سبب أكبر، وهو تحقيق مصيري، أي أن أكون أنا نفسي. ولكي أكون أنا نفسي، لا يمكنني أن أكون كذلك بدون المسيح. لهذا، فإن القبول بالآخر هو جزء من قبول أكبر، إنه القبول بتدبير المسيح لحياتي الشخصية. إذن، هذا هو ما يبقى دائماً: هذا هو القبول بالذي يريد أن يقودني إلى كمال إنسانيتي. وما يبدو فشلاً

[١٨٥] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٨

لا يمكنني قياسه. لذلك، فإن الوفاء لهذا القبول وقد ضربت مثال العذراء مريم الأم الواقفة تحت الصليب. فالوفاء حتى عندما يبدو أن كل شيء قد ضاع، يفتح إمكانية لتحقيق الذات لا يراها المرء. أتفهمون الفرق بين قول هذه الأمور والقول، كما يفعل البعض: «ولكن كيف؟ ابدأ حياة جديدة!» إنها بالفعل وجهة نظر مختلفة تماماً، إنها وجهة النظر التي أدخلها المسيح إلى العالم. فهو أمين. فكروا في مثل الابن الضال أو عندما يقول أشعياء النبي: «أَتَنْسى المَرأَةُ رَضيعَها فلا تَرحَمُ آبنَ بَطنِها؟ حتَّى ولَو نَسيَتِ النِّساءُ فأَنا لا أَنْساكِ». [١٨٦]

داڤيد بروسبيري. أود أن أتوقف لحظة عند هذه النقطة بالذات، ليس لأنها وردت في العديد من الأسئلة فقط، ولكن أيضاً لأنني أعتقد أن بعض المواضيع التي تناولها مونسينيور چُوڤانِّي في هذه الأيام ستتطلب منا جدية واستعداداً لمراجعة حياتنا التي نعيشها حقاً. لأننا نريد أن نتماثل مع المسيح، ونريد أن نتعلم كيف نعيش مثل المسيح، كما قِيل لنا. لقد أثر فيَّ كثيراً الإصرار حول كيفية التعرف على كلمة «نعم» التي قِيلت للمسيح في الفشل الظاهري للحياة، وفي الخبرة التي يجد المرء نفسه فيها، خاصة عندما يتعلق الأمر بالدعوة. أعتقد أن القضية الأولى التي يجب أن نواجهها هي أننا محُكومُون بعقلية العالم. على الرغم من أننا نؤمن بالأشياء التي نقولها لأنفسنا، إلا أن تأثير العقلية السائدة موجود بداخلنا، وتعمل السلطة على إضعافنا من الداخل، وتغرس فينا الشك حول ما نعتبره أصدق شيء في حياة الشركة (الشركة نفسها، التي بدونها يستحيل مقاومة هذه السلطة، ولكن سأعود إلى هذا لاحقاً). وما هو الالتباس وسوء الفهم الذي تستغله السلطة؟ فبمجرد حدوث إخفاقات، أو عندما نرتكب أخطاء، أو ربما نعاني من ظلم يحتج عليه قلبنا لأن القلب يتوق إلى أن يُحَب في المقابل. كما يلاحظ صديق عند الحديث عن خبرة الهجر أو الصعوبات في الحياة الأسرية. فإن سوء الفهم هو أن يجعلوا منا فاشلين لمجرد أن الأمور سارت على نحو سيء. لكننا لسنا ما نفعله، إن هويتنا لا تتحدد بإخفاقاتنا، ولا بفشلنا؛ خاصةً، عندما يكون المرء بريئاً ويتعرض لظلم أو هجر.

وبالتحدث عن نفسي بطريقة مختلفة تماماً، في النهاية، يمكننا أن نرى ونشعر إنسانياً على أن هذا ظلم أيضاً. فعندما وجدت والدتي نفسها مع طفلين صغيرين، كان عليها أن تقرر ماذا تفعل. لم تتخذ قراراً فورياً، لكنها واصلت حياتها وهي تدرك بوضوح شيئاً واحداً فقط: أن هناك نقطة موضوعية في حياتها، وهذه النقطة الموضوعية كانت طفليها، قبل أي شيء آخر. والعلامة القوية على أن المسيح ظل حاضراً في حياتها هي أن المسيح كان يطلب منها شيئاً، وأن الاستجابة للمسيح كانت تعني الاستجابة لما كان المسيح يعطيها إياه، وليس لصورتها الخاصة، وليس لما كان ينبغي أن تكون عليه الحياة والذي سُلب منها بدلاً من ذلك. أنت تتكل على ما يعطيك إياه المسيح وتصبح مسؤولاً عنه. وتتحمل مسؤولية ما يعطيك المسيح، وليس ما تقرره أنت. حتى في مواجهة ظلم

---

[١٨٦] أش ٤٩: ١٥

ظاهري. إنه رهان تراهن عليه بكل شيء؛ إنه رهان الحياة: أن تُعطي حياتك للمسيح، وهو ما يعني أن تعطي حياتك لما يعطيه إياك المسيح ويطلبه منك. ولأن هذا كان واضحاً جداً وبسيطاً بالنسبة للأب چوسَّاني (وهو معقول جداً لمن يعترف بالمسيح كسيد لحياته)، فقد ابتكر حتى طريقة لعيش الدعوة في هذه الظروف (من الهجر؛ وأيضاً وفاة الزوج أو الزوجة، في حال قرر الشخص عدم الزواج مرة أخرى، مثل والدتي): أخوية القديس يوسف. هي ليست شكلاً محدداً، بل هي طريق للتعرف على كيف، في ذروة خبرة البتولية، يمكن تقديم الحياة للمسيح بطريقة لم تخترها، مختلفة عن تلك التي اعترف بها المرء كدعوته الخاصة، وبالتالي فإن الدعوة لم تَبْطُلْ، فهي لا تزال قائمة. لماذا كانت هذه بصيرة عظيمة؟ لأنه كان واضحاً للأب چوسَّاني أن العيش على مستوى طموحات الإنسان، ولتحقيق مصيره دون شعور نهائي بالفشل، يتطلب رفقة وصحبة تشاركك نفس الطريق نحو المصير، وتشاركك نفس خبرة التخلي وفي نفس الوقت الاعتماد على ما يطلبه المسيح منك لإتمام مجده في العالم.

«في الصداقات، يبدو أن الحاجة الأكثر إلحاحاً اليوم هي الدعم المتبادل بين الأصدقاء، حيث أن كل ظروف الحياة تذكرنا في النهاية بدعوتنا في الحياة، خاصةً وأن موضوع الدعوة يهم أيضاً المتزوجين الذين لديهم عائلات. كيف يمكننا إذن أن نساعد الأصدقاء الذين يعيشون في مشقات و يواجهون تحديات وصعوبات مرتبطة بدعوتهم؟ كما أنني متأثر بكيفية وصف المحبة كمشاركة عميقة في الحياة - شركة تعكس طبيعة الله ذاتها، إذا كنت أفهم الأمر بشكل صحيح. أود أن أفهم بوضوح أكبر ما يعنيه هذا لجماعات الأخوية. كيف يعيشون هذه المحبة، هذه الشركة العميقة؟»

داڤيد بروسبيري. سأستغرق بضع دقائق لأن السؤال يمس نقطة أساسية بالنسبة لنا بشكل واضح. نحن هنا في رياضة روحية للأخوية، وبالتالي فإن معنى عيش خبرة الأخوية في الحياة اليومية هو شيء يجب أن نساعد بعضنا البعض على تذكره دائماً.

التقيت في هذه السنوات بمجموعات مختلفة من الأخوية. رأيت في بعضها خبرة منيرة ومشرقة حقاً لعائلات تساعد بعضها البعض وتعيش محبة متبادلة مؤثرة، وتُحدث حضوراً حيثما توجد، وصولاً إلى الأعمال. فقد رأيت فيهم مثالية الحركة متحققة في الحياة اليومية، وقادرة على إضاءة الحياة بتفاصيلها، بما في ذلك التحديات والآلام، التي لم تعد اعتراضات على العيش، بل أصبحت هي نفسها طريقاً لاكتمال الحياة. أفكر في القرارات الجوهرية التي يتم التعامل معها معاً: على سبيل المثال، التباحث بشأن إمكانية تغيير العمل، أو أفضل مدرسة لتسجيل الأبناء فيها، وذلك في ضوء الخبرة المسيحية كما نتلقاها باستمرار من الكاريزما. والقرار شخصي بالطبع، لكن مسيرة التحقق، قبل وبعد القرار، يتم المشاركة فيه بالتفصيل، بحيث لا يبقى أحد وحيداً مع قناعاته أو شكوكه، ومع نجاحاته أو أخطائه، بل يكون الجميع معاً في كل الأحوال. كل هذا يوحي بقوة اقتراح الأب چوسَّاني خاصةً اليوم، في وقت تُدعى فيه العائلات لمواجهة العديد من الصعوبات ونقاط الضعف المتنوعة. إننا نرى ذلك باستمرار، ونتعامل معها جميعاً وكل يوم. هناك فترة

حساسة بشكل خاص، وهي الانتقال من نهاية الدراسة أو الجامعة إلى عالم العمل، حيث يمكن أن يشعر المتخرج باغراء التخلي عن الخبرة التي عاشها في «شبيبة الطلبة» [GS] أو في «مجموعات الطلبة الجامعيين المنتمين للحركة» [CLU]، إذا لم يجد رفاقاً مناسبين للوضع الحياتي الجديد. هناك من يكتفي بالمشاركة في بعض الفعاليات أو قراءة النصوص أو بعض النصوص التي نوصي بها. لكن هذا لا يصل إلى ما يسميه الأب چوسَّاني «إشراك حياتي في حياتك وحياتك في حياتي»،[١٨٧] وهو ما يعتبره الركيزة الأولى لحياة الإيمان. وتُعَدُّ مجموعات الأخوية مُساهِمة بحق في إدخال الثراء الروحي للحركة في الخبرة الشخصية. وهذا بالضبط ما ينير الحياة. ففي الرسالة التي لا تزال الحركة ترسلها حتى اليوم إلى الأعضاء الجدد، كتب الأب چوسَّاني: «جانب أساس من منهج تعزيز الإيمان هو حياة الشركة التي نعبر عنا ونظهرها [...] [والتي] تتطلب، قدر الامكان، تجسيد الوحدة التي نجد فيها هويتنا. وبالتالي، إن إظهار الوحدة هو مشاركة للحياة بأكملها، بحيث أن ما يحدث للآخر لا يمكن أن يكون بعد الآن دون تأثير ومشاركة حياة كل واحد منا (على جميع المستويات، من الروحي إلى المادي). لنتأمل كم تبدو لنا هذه الأمور بعيدة المنال. ومع ذلك، فإن هذا الانخراط يكون حقيقياً عندما يمر من خلال حرية كل فرد: «إن حياة الشركة ليست قائمة مهام لانجازها، بل هي مبدأ يوجهنا لفهم ذواتنا وأفعالنا. ولا يمكن للشركة الحقيقية أن تنشأ إلا إذا تشكلت بالتاريخ الشخصي لكل فرد وبمزاجه المتفرد. يجب أن نرى أننا شيء واحد، ويجب أن يرى العالم أن المسيحيين هم واحد. فإذا لم نسعَ نحن لتحقيق ذلك، بتواضع وبحرية القلب، وبالتالي بفرح الروح، فمن يستطيع أن يسعى لذلك؟».[١٨٨]

إذن، ما الذي يميز جماعة الأخوية عن أي مجموعة من الأصدقاء؟ هل هو عمق المودة، وكثرة اللقاءات، أم حجم الأنشطة المشتركة؟ قد يكون كذلك، لكن ليس هذا هو الجوهر. بل أرى أن هذه المقاييس لا تصنع الفارق الحقيقي. فالفارق النوعي يكمن فقط في الهدف من شركتنا، كما ذكرنا. ما هدف شركتنا؟ يوضح الأب چوسَّاني: «الأخوية هي التجمع الحُر كرفقة وصحبة لعيش خبرة الحركة. كما يجب علينا تسلق الجانب الشمالي لجبل ما، فيجتمع منا أربعة أو خمسة. ونبقى سوياً باختيارنا الحر، الذي قد لا يكون مبنياً على مودة أو صداقة، بل على جدية الهدف: إننا نعيش خبرة ''الشراكة والتحرر'' فالأخوية ليست إلا خبرة «الشراكة والتحرر» الناضجة والتي تعترف بها الكنيسة».[١٨٩] وهذا يوضح أيضاً معايير اختيار مجموعة الأخوية. لماذا هذه المجموعة تحديداً؟ لأن وجوههم تسندني في مسيرة الإيمان. قد أختلف معهم كثيراً، وقد لا نتفق دائماً، لكن لقائي بهم يعطيني دفعة للانطلاق من جديد ويحفزني على اختبار الإيمان، بطريقة لا تحدث مع غيرهم. إنه اختيار، لكنه بالأساس إدراك، ووعي باختيارنا المشترك وقبولنا لهذا التفضيل، الذي ليس تفضيلنا

---

١٨٧ الأب لويچي چوساني، «ثورة الذات»، مرجع سبق ذكره، ص ١٢

١٨٨ الأب لويچي چوساني، «عمل الحركة. أخوية الشراكة والتحرر»، سان باولو، تشينيسيللو بالسامو (ميلانو) ٢٠٠٢، الصفحات ٢٥١ – ٢٥٢

١٨٩ نفس المرجع السابق، الصفحات ٢٠٣ – ٢٠٤

الشخصي، بل تفضيل المسيح لحياتي من خلال من يمنحني إياهم، ومن يساعدونني على الاعتراف به مَلِكاً على حياتي.

قال الأب چوسَّاني أن التفضيل الحقيقي أولاً وقبل كل شيء ليس تجاه شيء يعجبنا، بل هو اختيار وتفضيل ما يعطينا إياه الله. إذن، مجموعة الأخوية ليست ولا يمكن أن تكون بديلاً للحركة، بل على العكس تماماً. إنها مُساعِدة في المسيرة الإيمانية الشخصية التي تتوافق مع المساعدة في اتباع الأخوية الوحيدة، لأن هذه هي التي تعبر عن الاقتراح الشامل والناضج للحركة في جميع أبعادها الأصلية: الثقافة، والمحبة، والرسالة. وتدعم المجموعة تبعيتي للحركة ومنها تُقيَّم وفيها تُختَبر: إذا لم تساعدك مجموعتك الأخوية على اتباع الحركة، فغيِّرها! الهدف من الحياة ليس البقاء وفياً لتلك الوجوه هناك. الهدف من حياتك هو البقاء وفياً للطريق الذي وضعك المسيح عليه، وتلك الوجوه مهمة بقدر ما تدعمك وتساعدك في هذا بإخلاص وبثقة وتسليم لهذا الاتباع. وإذا واجهت المجموعة صعوبة في هذا، ربما بسبب ضياعها في خلافات صغيرة أو أحقاد لا يمكن تجاوزها، فحينئذٍ، قبل التخلي عنها، تكون هناك حاجة إلى مرجع خارجي، يساعد أولاً على توسيع الأفق، لأن حتى مجموعة الأخوية يمكن أن تصبح انغلاقاً بين تلك الوجوه هناك. لكن هذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا كان من يساعدنا في هذه المقارنة هو شخص يتابع هذه المجموعة. لأنه إذا كان على المجموعة أن تساعدنا على الاتباع، فيجب على شخص يأتي من خارج الأخوية أن يساعدنا على اتباع الحركة بشكل أكبر بهذه الخبرة الموجهة، والخطوات التي يتخذها. ليس من هو أكثر سلطة بالنسبة لي لأنه الأكثر جاذبية، لا! بل من يساعدني أكثر على عيش السبب الذي من أجله توجد مجموعة الأخوية، أي إتباع الحركة. وإلا فإننا نضيع في مناقشات تصبح مجرد مشكلة إضافية، بدلاً من حلها. بالمناسبة، هذه أمور ظهرت بالفعل في آخر اجتماع للرؤساء، والتي تجدونها منشورة على موقع الأخوية، وأدعوكم لمراجعتها.

لذلك، يجب أن نسعى جاهدين لجعل المجموعات تكتسب وعياً متزايداً بالهدف الذي من أجله نشأت، والذي يُشار إليه في الدليل: «إن الفكرة المُوجِّهة للأخوية هي اكتشاف أن العضو البالغ هو مسؤول عن عمله وعائلته بقدر مسؤوليته عن قداسته: وعن الحياة كمسيرة نحو القداسة، أي عن الحياة كدعوة»،[١٩٠] لأن القداسة، كما كان يقول الأب چوسَّاني على الدوام، ليست للخارقين من البشر، بل هي للجميع. وبالفعل نرى أن الكنيسة اليوم بدأت إجراءات إعلان قداسة بعض أصدقائنا، الذين نموا في الايمان داخل هذا التاريخ. ونحن نتحدث عن شيء مدعوون إليه جميعاً، كما يقول بييترو دي كراون [Pietro di Craon] في «بشارة مريم العذراء»، وهو كتاب الشهر: «فالقداسة ليست أن تُرجَم في أرض وثنية أو أن تُقَّبِل فم أبرص، بل أن تفعل مشيئة الله، بلا تردد، سواء تعلق الأمر بالبقاء في مكاننا، أو بالصعود إلى أعلى»، لأنه «ليس للحجر أن يحدد مكانه، بل لمعلم العمل الذي اختاره».[١٩١] فمجموعات الأخوية مَدعُوة لتكون أماكن حيث تصبح رفقة وصحبة

---

[١٩٠] نفس المرجع المذكور سابقاً، ص ٢٤٥

[١٩١] پ. كلوديل، «بشارة مريم العذراء»، مرجع سبق ذكره، الصفحات ٣٣ و ٣٥

المعلم، المسيح، أقرب، وداخل رفقة الكنيسة. أختتم بالإشارة إلى النقطة الأهم في نظري. في اجتماع الرياضة الروحية الأولى للأخوية، في ٨ مايو ١٩٨٢، وجَّهوا هذا السؤال للأب چوساني: «ما هو العمل المطلوب منا اليوم تحديداً في الكنيسة؟». هذا شيء له علاقة بكل ما بدأنا نقوله منذ بداية العام: بناء الكنيسة. وكانت إجابته كالتالي: «العمل المطلوب منا في كنيسة اليوم يسمى ''حركة''، حركة الشراكة والتحرر، وهذا يكفي».[١٩٢] هذا ينطبق اليوم أيضاً، بغض النظر عن جميع تفسيراتنا. الكنيسة بأسرها تطلب منا هذا فقط. لنتذكر ذلك من فضلكم.

[١٩٢] الأب لويجي چوساني، «رفقة غريبة»، بور، ميلانو ٢٠١٧، ص ٥٦

تنبيهات

الصندوق المشترك: في كتابه ''ثورة الذات''، يقول الأب چوسَّاني في إحدى الفقرات: «ليس صحيحاً أنه عندما نكبر [...] يجب أن نترك وراءنا الأدوات التعليمية التي أثرت فينا ونمتنا في ''شبيبة الطلبة''. هذا غير صحيح! فكلما تقدمنا، [...] أصبح من الواضح بشكل متزايد أننا دائماً بحاجة للتَعلُّم؛ لذلك، يجب أن نستعيد تلك الأبعاد الشهيرة [الثقافة، والمحبة، والرسالة] التي تصف لـ ''شبيبة الطلبة'' الجوانب الأساسية للنمو والشخصية المسيحية، وأننا لا يزال يتعين علينا استعادة المبادرات التي تُتَرجمْ فيها هذه الأبعاد». [١٩٣] قال الأب چوسَّاني إن التعلم هو مسار مستمر، يبدأ عند الولادة وينتهي عند الموت. وكانت إحدى المبادرات التي ترجمت التعلم إلى البعد التبشيري هي الصندوق المشترك أو «العشور»، حسب المصطلح المستخدم آنذاك. إذ كتب الأب چوسَّاني لـ ''شبيبة الطلبة''. ''تأملات حول خبرة'' عام ١٩٥٩: دعوة الشباب بشكل منهجي إلى عدم تلقي أي أموال إلا إذا تم تخصيص جزء منها، صغيراً كان أم كبيراً حسب الظروف أو سخاء الفرد، كشهادة ملموسة على الاهتمام بالعالم أجمع ولسعادته، أي نشر ملكوت الله فيه. (هو المفهوم القديم، التلقائي والطبيعي في الوعي المسيحي الحقيقي، ''للعشور'')". [١٩٤] ربما لا يعلم الجميع أن حصة من العشور، التي كانت تُجمَّع في صندوق مشترك كانت تديره ''جمعية أصدقاء البرازيل'' [SAB]، [١٩٥] وكانت مخصصة للاحتياجات المادية لـ "جياسيني" الذين ذهبوا في مهمة إلى البرازيل في الستينيات. وكانت هذه الجمعية تضم بعض شبيبة الطلبة الذين تحملوا مسؤولية مباشرة أكبر للحفاظ على الاتصال مع أصدقائنا في أعالي البحار.

لذلك، كان الصندوق المشترك – ولا يزال حتى الآن – بادرة تعليمية للرسالة، كشهادة ملموسة على الاهتمام بالعالم، والذي نعبر عنه كشغف لنشر ملكوت الله، أي لتوسيع جسد المسيح الذي هو الكنيسة.

يعلمنا الصندوق المشترك الفقر، أي أن نعيش كل شيء من أجل شيء أعظم. أن نعيش، وبالتالي ندرك، ونُقَيِّم، ونتفهم الأشياء من أجل شيء أعظم من الذات: المثال، أي المسيح، معنى كل شيء. كتب أحد الأصدقاء (نُشرت الرسالة في عدد يناير الماضي من مجلة ''آثار''): «لقد التحقت بمدرسة الجماعة ودفعت حصتي للصندوق المشترك وبعد عدة سنوات توقفت عن ذلك. لم أعد أعيش حياتي ونشاطات الحركة بجدية منذ فترة

---

[١٩٣] الأب لويجي چوساني، «ثورة الذات»، مرجع سبق ذكره، الصفحات ١١٢ – ١١٣

[١٩٤] الأب لويجي چوساني، «الطريق إلى الحقيقة هو خبرة»، ريتسولي، ميلانو ٢٠٠٦، ص ٧٦

[١٩٥] راجع ماسيمو كاميزاسكا، «في مسيرة داخل العالم. تاريخ حركة الشراكة والتحرر (١٩٥٤ – ١٩٨٤)»، سان باولو، تشينيسيللو بالسامو (ميلانو) ٢٠١٤، ص ١١٢

طويلة. لكن هذا العام تغير شيء ما. لقد أصبحت أباً للمرة الثالثة. قبل ولادة كارلوتا [Carlotta] ، تم إجراء التشخيص الطبي الذي كشف عن إصابتها بمتلازمة داون، ولا يمكنني أن أنكر أن ذلك كان صدمة لنا. وثارت فينا العديد من الأسئلة العملية، وأهمها، ونحن نفكر في مستقبل ابنينا الآخريين، كان: كيف سنرعاها، ومن سيهتم بها عندما لا نكون موجودين؟ كل هذه المخاوف موجودة ولا تزول، لكن الشيء الوحيد الذي رافقنا خلال الحمل هو معرفة أننا لسنا وحدنا، وقد شعرت بذلك جسدياً بالفعل. وشعرت بالمُرافَقَة من خلال وجوه أعز الأصدقاء في زياراتهم ما قبل الولادة. وطلبنا من الجميع أن يصلوا لأجلنا، لكي تحدث المعجزة، ولكن ليست معجزة شفائها، أو أن يكون التشخيص خاطئاً: ما كنت أطلبه هو المعجزة في داخلي، أن أتحول باستمرار إلى حقيقة أنني لست أنا من يعمل، بل آخر يفعل كل شيء، أنا مجرد أداة له. الآن ولدت كارلوتا، ويمكنني القول إنني لا أشعر أنها ملكي وحدي، بل هي ابنة الجميع. لقد زرع الله من خلالها بذرة بدأت تنمو في داخلي وفي عائلتي وفي جميع الأشخاص الذين نلتقي بهم والذين التقينا بهم خلال الحمل، وليس الأصدقاء فقط.[١٩٦]

وأمام جميع الأسئلة العملية التي ثارت بعد اكتشاف إصابة ابنته بمتلازمة داون، قرر هذا الصديق العودة لدفع حصته في الصندوق المشترك. ولم يقرر أن يشتت انتباهه ويفكر في أمور أخرى، بل أدرك أن الشيء الوحيد الضروري حقاً بالنسبة له ولابنته، تحديداً فيما يتعلق بتلك الأسئلة، هو صحبتنا هذه. وقد أصبح هذا شهادة للآخرين الذين التقوا بهم.

أن أدرك أن في حياتي شيئاً لا يقل أهمية عن عائلتي وعملي - واقعاً أستطيع، رغم قلة حيلتي (وليس مالياً فقط)، أن أسهم فيه ولو بالقليل - هو في حد ذاته دليل على أنني أدركت مكانة المسيح المحورية في حياتي. فالمهم حقاً، كما نقول دائماً، هو أن نكون أمناء وأوفياء، فهذا ما يعلمني. قد أقرر أيضاً أن أقدم كل شيء للمسيح، ولكن إذا لم أخضع لتقديم كل شيء لتلك الحقيقة التي اعترفت بها كطريقي لاتباع المسيح، فإن هذا القرار سيبقى مجرداً في النهاية. إنه أيضاً من خلال المساهمة في الصندوق المشترك ينمو الوعي بأننا جسد واحد، كما يحدث في الأسرة: إن كان أبناؤك أو إخوتك في ضائقة، أو لديهم حاجة ماسة، فإنك تسعى جاهداً لمساعدتهم. برأيي، هذا اليوم هو من أصعب القضايا التي يجب أن نتصدى لها في نظرتنا لأنفسنا، والتي غدت فردية بشكل مفرط في الآونة الأخيرة. نحن نظن أننا قادرون على إنقاذ أنفسنا بمفردنا، مستندين إلى قدراتنا، وإذا أخفقنا - كما ذكرنا سابقاً - فنحن حتماً فاشلون. إن تعبير «الصندوق المشترك» يتضمن كلمة «مشترك» تحديداً لأنه يشير إلى وحدتنا، فلا معنى له إلا بوجود هذه الشركة بيننا.

---

[١٩٦] «البذرة التي زرعتها ابنتي»، رسالة نيكولا، كاسِّينو (فروزينوني)، مجلة "آثار" عدد يناير ٢٠٢٥، ص ٢

لطالما أدهشني في هذا السياق إشارة الأب چوسَّاني إلى وجود صندوق مشترك واحد وحيد للأخوية، حتى أنه كتب في رسالته للمنضمين الجدد: «حيثما ينبغي لمجموعة أن تدعم مبادرة خاصة بها مالياً، يجب عرض هذه المبادرة على الدياكونيا المركزية لابداء الرأي فيها».[١٩٧] لقد كان حازماً في هذا الأمر. ليس من باب الصرامة، بل من أجل الحرية! من أجل الحرية في كل ما نفعله. أموالنا ليست ''ملكنا'' في نهاية المطاف، وبالتالي فإن طريقة استخدامها ليست ''ملكية'' لنا أيضاً. أعتقد أن الأب چوسَّاني أراد بذلك أن يساعدنا على استيعاب مدى جوهرية الحركة في حياتنا: إذا دفعتُ مبلغاً من المال إلى الصندوق المشترك لأخوية الحركة، يجب أن أسائل نفسي ما إذا كانت بالنسبة لي مجرد كيان إداري، أم أنها ذلك الواقع التي لا يمكنني العيش بمعزل عنه. وعندما يمد شخص بالغ يده إلى محفظته، فهذا يعني أن ما يقدمه له أهمية قصوى.

قد تبدو المساهمة العملية في الصندوق المشترك جافة في تكرارها، ولكن ما هو على المحك هو الأفق العظيم الذي سعينا لوصفه. لذلك، يجب علينا جميعاً أن نتذكر الأسباب الكامنة وراء هذا الفعل. ولهذا أدعو كل من يتولى مسؤوليات في الحركة، على كافة المستويات، إلى إعادة تفعيل فكرة الصندوق المشترك بروح جماعية. ولكن بما أننا جميعاً مسؤولون شخصياً عن الكاريزما – كما كررنا ذلك مراراً وتكراراً على مر السنين – فلنتعاون جميعاً في هذا الجانب أيضاً، ولا نلقِ الأسباب على عاتق مسؤولي الجماعة وحدهم.

الرسالة والحضور. مثلما ذكرنا في يوم بداية العام، كلنا مدعوون لمهمة. مدعوون تعني أننا مرسلون. لا نختار نحن المكان والزمان، تماماً كما سمعنا في الرسائل التي قرأناها مؤخراً: فقد طُلِبَ من البعض البقاء في بيوتهم للعناية بابنة وليدة، بينما طُلب من آخرين الذهاب إلى الأراضي المقدسة في خضم حرب، لكننا كلنا – كلنا بلا استثناء! – مدعوون لنشهد على الحب الذي غمرنا. وكل ما هو مطلوب منا هو أن نكون مستعدين للشهادة. وبعد يوم البداية أيضاً، عندما ركَّزنا على مفهوم الرسالة، بدأت بعض العائلات بالفعل بالتحضير للمغادرة، بالتنسيق مع اللجنة الدولية للحركة.

[١٩٧] الأب لويچي چوساني، «عمل الحركة. أخوية الشراكة والتحرر»، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٤

القداس الالهي

طقس وقراءات القداس الالهي لأحد الشعانين: أشع ٥٠: ٤ – ٧؛ مز ٢١ (٢٢)؛

فيل ٢: ٦ – ١١؛ لو ٢٢: ١٤ – ٢٣، ٥٦

عظة مونسينيور چوڤانِّي پاكُّوزي

أسقف سان مينياتو

حقاً، يا يسوع، إن حبك بلا حدود: فبينما كانوا يسمرونك على الصليب، كنت تبرر صانعي ذلك أمام الآب قائلاً: «يا أبتاه، اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون». ونحن أيضاً، مثل اللص على الصليب نثق بهذه الرحمة، وبهذا الحب الكبير الذي لا ينتهي. ونضع ثقتنا أيضاً في هذا الحب الأمين الذي يسبقنا والذي نسير إليه، حُبٌ يحمل وجهك، أيها المسيح، وجهك الحاضر هنا ومعنا الآن.

البرقيات التي تم إرسالها من الحركة

إلى صاحب القداسة البابا فرنسيس

صاحب القداسة،

اجتمع حوالي ٢١ ألف مشارك بالحضور الشخصي في إيطاليا، وأكثر من ٣ آلاف مشارك بالتواصل عبر الڤيديو من منازلهم لعدم تمكنهم من التنقل، إلى جانب الجماعات المتواجدة في ١٩ دولة حول العالم، أقاموا هذه الأيام الرياضة الروحية لأخوية «الشراكة والتحرر» وسيتم إقامة هذه الرياضة الروحية في ٥٩ دولة أخرى في غضون الأسابيع القادمة.

كما في العام الماضي، قام صاحب النيافة مونسينيور چوڤانِّي باكُّوزي، أسقف سان مينيانو بالقاء عظات هذه الرياضة الروحية التي تحمل عنوان «لقد عرفنا المحبة» (١يو ٣: ١٦) المكرسة لفضيلة المحبة، وذلك ختاماً لدورة ثلاثية السنوات حول الفضائل اللاهوتية.

لقد كانت فرصة لإحياء ذكرى الإعلان المحوري للتاريخ البشري: وهو أن السر الذي يتوقف عليه كل شيء قد تجلى كمحبة، باذلاً حياته لأجلنا. لذا، نحن مدعوون إلى الاهتداء الذي هو أولًا وقبل كل شيء إخلاص ووفاء لمحبته، التي تصل إلينا وتُشرِكنا في احتضان الكنيسة.

كان حضور صاحب السيادة الكاردينال فاريل بمثابة تأكيد رسمي لنا بأن الكنيسة تدعمنا وترافقنا في مسيرتنا الإيمانية.

ورغبة منا في الاستجابة اليومية لمحبة المسيح التي تسبقنا دائماً، نرفع صلاتنا من أجلكم إلى الرب، ونسلّم ذواتنا لبركته الأبوية.

داڤيد بروسبيري

إلى صاحب السعادة الكاردينال ماتِّيو تُسوپِّي [Card. Matteo Zuppi]

رئيس مجلس أساقفة إيطاليا

صاحب السعادة،

اجتمع حوالي ٢١ ألف مشارك بالحضور الشخصي في إيطاليا، وأكثر من ٣ آلاف مشارك بالتواصل عبر الڤيديو من منازلهم لعدم تمكنهم من التنقل، إلى جانب الجماعات المتواجدة في ١٩ دولة حول العالم، أقاموا هذه الأيام الرياضة الروحية لأخوية «الشراكة والتحرر».

كما في العام الماضي، قام صاحب النيافة المطران چوڤانِّي باكُّوزي، أسقف سان مينيانو والمسؤول عن جماعات الحركة في أمريكا اللاتينية، بالقاء عظات هذه الرياضة الروحية التي تحمل عنوان «لقد عرفنا المحبة» (١يو ٣: ١٦) المكرسة لفضيلة المحبة، وذلك ختاماً لدورة ثلاثية السنوات حول الفضائل اللاهوتية.

كانت هذه الرياضة الروحية فرصة لإحياء ذكرى الإعلان المحوري للتاريخ البشري: وهو أن السر الذي يتوقف عليه كل شيء قد تجلى كمحبة، باذلاً حياته لأجلنا. لذا، نحن مدعوون إلى الاهتداء الذي هو أولًا وقبل كل شيء إخلاص ووفاء لمحبته، التي تصل إلينا وتُشرِكنا في احتضان الكنيسة.

وإذ أشكركم على قربكم منا بينما ألتمس بركتكم وأرسل لكم تحياتي بخالص المودة والاحترام.

داڤيد بروسبيري

إلى صاحب النيافة مونسينيور نيكولوُ أنسيلمي [Mons. Nicolò Anselmi]

أسقف مدينة ريميني

صاحب النيافة،

اجتمع حوالي ١٩ ألف مشارك في أرض المعارض بريميني، إلى جانب ألفي مشارك بالتواصل عبر الڤيديو من مختلف أنحاء إيطاليا، علاوة على أكثر من ٣ آلاف من منازلهم لصعوبة تنقلهم، بالاضافة للجماعات المتواجدة في ١٩ دولة حول العالم، أقاموا هذه الأيام الرياضة الروحية لأخوية «الشراكة والتحرر».

كانت هذه الرياضة الروحية فرصة لإحياء ذكرى الإعلان المحوري للتاريخ البشري: وهو أن السر الذي يتوقف عليه كل شيء قد تجلى كمحبة، باذلاً حياته لأجلنا. لذا، نحن مدعوون إلى الاهتداء الذي هو أولًا وقبل كل شيء إخلاص ووفاء لمحبته، التي تصل إلينا وتُشرِكنا في احتضان الكنيسة.

وإذ نشكر نيافتكم على الدعم الذي أظهرتموه لنا بكلماتكم الطيبة وبينما ألتمس بركتكم من أجل مسيرة الأخوية وأرسل لنيافتكم تحياتي بخالص المودة والاحترام.

الفن في صحبتنا

من إعداد ساندرو كييريتشي [Sandro Chierici]

كانت لوحة «العظمة» [Maestà]، التي رسمها الفنان دوتشو دي بوونينسينيا [Duccio di Buoninsegna] بين عامي ١٣٠٨ و١٣١١، في الأصل، لوحة موضوعة فوق المذبح الرئيسي لكاتدرائية مدينة سيينا [Siena]. تعرض الواجهة الأمامية للوحة، المُوجَّهة نحو المصلين، صورة مهيبة للعذراء مريم والطفل يسوع مُحاطين بالملائكة والقديسين، ويحيط بهم الرسل وتسلسلين من المشاهد من حياة العذراء، في اللوحات العلوية المدببة [le cuspidi] والقاعدة السفلية [la predella]. أما الواجهة الخلفية تضم تسلسلاً لمشاهد من آلام المسيح، والذي كان مخصصاً ليراه الكهنة ورجال الدين الذين يتجمعون للصلاة في المكان المخصص للكورال خلف المذبح. وتضم الأجزاء العلوية والقاعدة السفلية للواجهة الخلفية مشاهد من حياة المسيح قبل وبعد آلامه.

حرص الرسام دوتشو على تقديم سرد دقيق لحياة العذراء مريم والمسيح، مُشركاً المُشاهد في القصة. إنها بالفعل قصة مليئة بوجوه الأشخاص الذين يشاركون في الأحداث، وتشكل دعوة للمشاهد ليصبح جزءاً من خبرة الشخصيات المرسومة والحاضرة في الأحداث المروية. إننا لسنا مدعوين لنكون مجرد متفرجين، بل لنكون جزءاً من قصة حدثت بالفعل.

الرسام دوتشو بوونينسينيا

لوحة «العظمة»

بمتحف مقتنيات كاتدرائية مدينة سيينا

١) الواجهة الأمامية بالكامل

٢) الواجهة الخلفية بالكامل التي تعرض مشاهد آلام المسيح

٣) الدخول إلى أورشليم

٤) العشاء الأخير

٥) يسوع يغسل أرجل التلاميذ

٦) وداع يسوع للتلاميذ

٧) خيانة يهوذا الاسخريوطي

٨) صلاة يسوع في بستان الزيتون

٩) القبض على المسيح

١٠) المسيح يقف أمام حنانيا رئيس الكهنة

١١) نكران بطرس للمسيح

١٢) المسيح يقف أمام قيافا رئيس الكهنة

١٣) المسيح يتعرض للضرب

١٤) الفريسيون يتهمون المسيح

١٥) بيلاطس البنطي يستجوب المسيح

١٦) المسيح أمام الملك هيرودس

١٧) المسيح يقف من جديد أمام بيلاطس البنطي

١٨) جلد يسوع

١٩) وضع إكليل الشوك على رأس يسوع

٢٠) بيلاطس البنطي يغسل يديه

٢١) الصعود إلى جبل الجلجثة

٢٢) صلب المسيح

٢٣) إنزال يسوع بعد موته على الصليب

٢٤) دفن المسيح في القبر

٢٥) النزول إلى الجحيم

٢٦) المريمات عند القبر

٢٧) لا تلمسيني

٢٨) تلميذي عمواس

٢٩) ظهور يسوع للرسل والأبواب مغلقة

٣٠) شك توما

٣١) ظهور يسوع للرسل فوق مياه بحيرة طبرية

٣٢) ظهور يسوع للرسل على الجبل

٣٣) ظهور يسوع للرسل في عُلِّية صهيون

٣٤) حلول الروح القدس على الرسل

٣٥) وصول الرسل إلى بيت العذراء مريم

٣٦) موت العذراء مريم

٣٧) مراسم جنازة العذراء مريم

٣٨) دفن العذراء مريم

٣٩) الواجهة الأمامية للوحة «العظمة»: العذراء مريم جالسة على العرش ومعها الطفل يسوع والملائكة والقديسين والرسل

	الفهرس
3	رسالة قداسة البابا فرنسيس إلى الحركة
	مساء الجمعة ١١ إبريل ٢٠٢٥
4	التحية الافتتاحية
10	المقدمة: «لقد ظهرت محبة الله في وسطنا»
21	القداس الالهي: عظة الأب ماورو ليبوري
	صباح السبت ١٢ إبريل ٢٠٢٥
23	التأمل الأول: «ما قيمة الحياة إن لم نبذلها؟»
	بعد ظهر السبت ١٢ إبريل ٢٠٢٥
42	التأمل الثاني: «نحب ما لا يدوم فقط باسم ما يمكن أن يدوم» التضحية والبتولية
60	القداس الالهي: عظة صاحب السعادة الكاردينال كيڤين چوزيف فاريل
	صباح الأحد ١٣ إبريل ٢٠٢٥
66	الاجتماع العام
85	القداس الالهي: عظة صاحب النيافة مونسينيور چوڤانِّي پاكُّوزي
86	البرقيات التي تم إرسالها من الحركة
89	الفن في صحبتنا

قام بالترجمة عن الايطالية: لوقا أسعد ناروز

© ٢٠٢٥ حقوق النشر محفوظة لأخوية الشراكة والتحرر والخاصة بالنصوص التي قام بتأليفها كل من: الأب لويجي چوساني، مؤسس الحركة و داڤيد بروسبيري، الرئيس الحالي للحركة و مونسينيور چوڤانِّي پاكُّوزي، أسقف سان مينياتو.